السِّيرَةُ النَّبَوِيَّةُ

الْحَلْقَةُ ١٩

غَزْوَةُ مُؤْتَةَ

ثَلَاثَةُ أُمَرَاءَ وَرَايَةٌ وَاحِدَةٌ وَسَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللهِ، فِي ضَوْءِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَالْحَدِيثِ الصَّحِيحِ



Hj Che Alim Hj Che Haron
AK (Kelantan)
quranscience.my

© ٢٠٢٦ م / ١٤٤٨ هـ Hj Che Alim Hj Che Haron AK (Kelantan) • @QuranScienceMY • quranscience.my
هذا الكتاب الإلكتروني مجاني للمسلمين — يمنع بيعه.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

السِّيرَةُ النَّبَوِيَّةُ

الْحَلْقَةُ ١٩

غَزْوَةُ مُؤْتَةَ

ثَلَاثَةُ أُمَرَاءَ وَرَايَةٌ وَاحِدَةٌ وَسَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللهِ، فِي ضَوْءِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَالْحَدِيثِ الصَّحِيحِ

مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا

سورة الأحزاب (٣٣): ٢٣

HJ CHE ALIM HJ CHE HARON

quranscience.my | @QuranScienceMY

© ٢٠٢٦ م / ١٤٤٨ هـ quranscience.my — كتاب إلكتروني مجاني. يُمنع بيعه.

شكر وإهداء

الحمد لله الذي اصطفى من المؤمنين شهداء، وجعلهم أحياءً عنده يُرزقون. والصلاة والسلام على سيّدنا ونبيّنا محمد ﷺ، الذي بكى أصحابه بدموع الرحمة، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أُهدي هذا الكتاب خاصّةً إلى زوجتي الحبيبة،

زهرة محمد لطيف؛

وإلى أبنائي وبناتي الأحبّة،

محمد حافظ، نور هزواني، عبد الحكيم، نور هداية، نور عاقلة ونور عتيقة؛

وإلى أصهاري وكنّاتي،

فضيلة، مالك، حنين، فيريزال وفيروان.

تروي هذه الحلقة التاسعة عشرة من «السيرة النبوية» غزوةَ مؤتة: ثلاثة أمراء عُيّنوا في وقتٍ واحد، ورايةً انتقلت من يدٍ إلى يد، وجعفرًا ذا الجناحين، وخالد بن الوليد «سيفًا من سيوف الله». أسأل الله أن يجعل هذا العلم عِلْمًا يُنْتَفَعُ بِهِ.

عن غلاف هذا الكتاب

لا يصوّر غلافُ هذا الكتاب أيَّ إنسانٍ أو حيوان، بل يعرض **هضبةً عاصفةً شرقيَّ البحر الميّت** عند **الفجر**، وعليها **بساطٌ من شقائق النعمان الحمراء** البرّية تنبت بين صخور الكلس. ويمتدّ **طريقٌ قديمٌ مرصوف بالحجارة** نحو تلالٍ بعيدة، بينما **تتشقّق الغيوم الكثيفة** وتخترقها أشعّةٌ ذهبيّة.

تذكّر الهضبةُ بأرض مؤتة، قرب الكرك في الأردن اليوم، حيث واجه ثلاثة آلاف صحابيّ جيشًا أكبر منهم بكثير. وترمز الزهور الحمراء إلى دماء الشهداء — زيدٍ وجعفرٍ وابن رواحة وغيرهم من الصحابة — بينما يذكّر النور المخترق للغيوم بوعد الله: ﴿بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ (آل عمران ٣: ١٦٩). والطريق القديم هو طريق الشام الذي سلكه جيش المسلمين، ثم سلكه خالد وهو يعود بالجيش سالمًا.

الشريط الأزرق الداكن في الأسفل، المؤطَّر ب**خطوطٍ ذهبيةٍ رفيعة**، هو موضع اسم المؤلف.

المحتويات

غزوة مؤتة — مقدّمة
١. بعد عمرة القضاء — كتب السيرة؛ رسم
٢. ثلاثة أمراء في تعيين واحد — صحيح البخاري ٤٢٦١
٣. زيد بن حارثة: الخليق بالإمارة — صحيح البخاري ٣٧٣٠؛ الأحزاب ٣٣: ٣٧
٤. جعفر بن أبي طالب: صاحب المساكين — صحيح البخاري ٣٧٠٨
٥. عبد الله بن رواحة: دموع قبل الرحيل — مريم ١٩: ٧١؛ كتب السيرة
٦. المسير إلى أرض الشام — رسم؛ كتب السيرة
٧. الشورى في معان — رسم؛ كتب السيرة
٨. ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ﴾ — البقرة ٢: ٢٤٩؛ الأنفال ٨: ٤٥-٤٦
٩. جعفر: خمسون جراحةً في مقدّمه — صحيح البخاري ٤٢٦٠
١٠. ذو الجناحين — صحيح البخاري ٤٢٦٤
١١. ابن رواحة: «يا نفس...» — كتب السيرة
١٢. سيف من سيوف الله — صحيح البخاري ١٢٤٦؛ رسم
١٣. تسعة أسياف انقطعت — صحيح البخاري ٤٢٦٥
١٤. الخبر قبل الخبر — صحيح البخاري ٤٢٦٢
١٥. المَدَدي وطاعة الأمير — صحيح مسلم ١٧٥٣؛ أبو داود ٢٧١٩
١٦. دموع رسول الله ﷺ — صحيح البخاري ٤٢٦٣؛ البقرة ٢: ١٥٥-١٥٧
١٧. طعام لآل جعفر — جامع الترمذي ٩٩٨؛ أبو داود ٤١٩٢
١٨. ﴿بَلْ أَحْيَاءٌ﴾ — آل عمران ٣: ١٦٩-١٧١؛ صحيح مسلم ١٨٨٧
١٩. أمنية الشهداء — صحيح البخاري ٢٨١٧؛ الأحزاب ٣٣: ٢٣
٢٠. نصر أم انسحاب؟ — كتب السيرة؛ جدول
٢١. أسامة: الراية الموروثة — صحيح البخاري ٣٧٣٠، ٤٤٦٩
٢٢. مؤتة اليوم — تاريخ
٢٣. مصادر قصّة غزوة مؤتة — جدول
٢٤. سريّة ذات السلاسل: بعد مؤتة — صحيح البخاري ٤٣٥٨؛ سنن أبي داود ٣٣٤
٢٥. جيش الخَبَط والحوت العظيم على الساحل — صحيح البخاري ٤٣٦١، ٤٣٦٢؛ المائدة ٥: ٩٦
٢٦. أعلام غزوة مؤتة — جدول
٢٧. أحكام من مؤتة والسرايا بعدها — جدول؛ الأنفال ٨: ١٥-١٦
٢٨. الخطّ الزمني: من مؤتة إلى فتح مكّة — جدول
٢٩. أسئلة شائعة عن غزوة مؤتة — ١٢ سؤالًا
٣٠. العبر والخاتمة
المراجع

الدعم والتبرّع

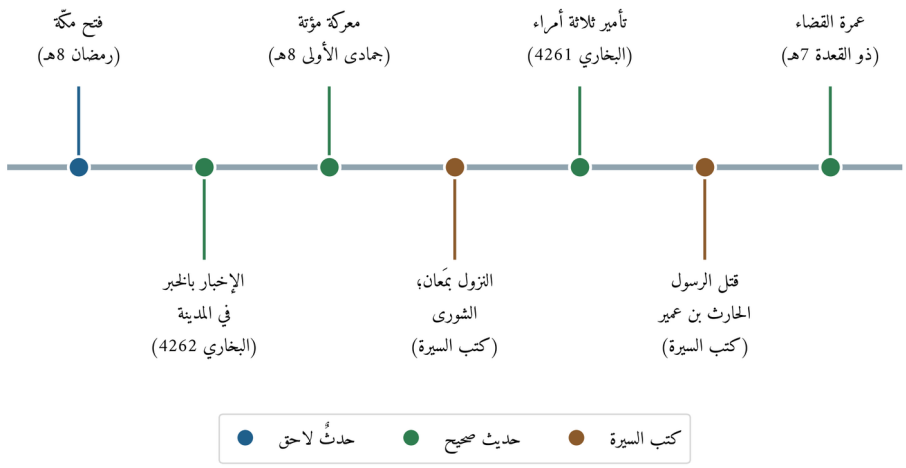
دليل الألوان: الإطار الأخضر = آية من القرآن الكريم؛ الإطار الذهبي = حديث؛ الإطار البنّي = من كتب السيرة؛ الجدول الأزرق = مقارنة. أسماء الرواة المسطّرة بالأزرق روابط إلى صفحاتهم في موقع sunnah.com.

غزوة مؤتة

روت الحلقة الثامنة عشرة من «السيرة النبوية» عمرةَ القضاء: دخل المسلمون مكّة آمنين، وطافوا بالرَّمَل، ثم رجعوا إلى المدينة مطمئنّين. لكنّ تلك الطمأنينة لم تَدُم طويلًا. فبعد أشهرٍ قليلة، في **جمادى الأولى سنة ٨ للهجرة**، خرج من المدينة جيشٌ قوامه **ثلاثة آلاف رجل** متّجهًا نحو الشمال — إلى أرض الشام، ولاية الإمبراطوريّة الرومانيّة الشرقيّة (البيزنطيّة).

تروي هذه الحلقة **غزوة مؤتة** — أوّل مواجهةٍ لجيش المسلمين مع القوّة العظمى في العالم يومئذٍ. عيّن رسول الله ﷺ **ثلاثة أمراء دفعةً واحدة**؛ فاستُشهد الثلاثة واحدًا بعد واحد؛ ثم أخذ الراية **خالد بن الوليد**، الذي لم يمضِ على إسلامه إلّا أشهر، ففتح الله على يديه ونجّى الجيش. وفي المدينة أخبر رسول الله ﷺ بما جرى **قبل أن يصل الخبر**، وعيناه تذرفان.

الخطّ الزمني لغزوة مؤتة



وقعت المعركة نحو جمادى الأولى 8هـ (نحو سبتمبر 629م)، قبل فتح مكّة بأربعة أشهر.

الرسم ١: الخطّ الزمني لغزوة مؤتة.

تنبيه: درجة كلّ حديث مذكورة في صندوق الحديث. أمّا أخبار كتب السيرة — كأعداد جيش العدوّ والخطب والأشعار — فقد وُضعت في الصندوق البنّي «من كتب السيرة»، لأنّ أكثرها مرويٌّ بغير إسنادٍ متّصل.

بعد عمرة القضاء

بعد صلح الحديبية بعث رسول الله ﷺ كتب الدعوة إلى الملوك والأمراء حول جزيرة العرب، كما روت الحلقة السابعة عشرة. فمنهم من أكرم الرسول، ومنهم من ردّه. غير أنّ قتل الرسول كان **جرمًا عظيمًا** في أعراف الأمم كلّها يومئذٍ.

من كتب السيرة: الرسول المقتول

ذكر ابن سعد والواقدي أنّ رسول الله ﷺ بعث **الحارث بن عمير الأزدي** بكتابٍ إلى أمير بُصرى. فلمّا كان بمؤتة اعترضه **شُرَحْبيل بن عمرو الغسّاني**، وهو عاملٌ عربيٌّ من غسّان تابعٌ للروم، فقتله. ولم يُقتل لرسول الله ﷺ رسولٌ غيره، ويُذكر هذا الحدث سببًا رئيسًا لبعث الجيش إلى مؤتة.

هذه القصّة **من أخبار كتب السيرة**؛ ولا يوجد حديثٌ صحيح يفصّل اسم ذلك الرسول. لكنّ المؤرّخين المعاصرين أيضًا يذكرون أنّ رسولًا لرسول الله ﷺ قُتل بأمر شرحبيل.

المرجع:

ابن سعد، الطبقات الكبرى؛ الواقدي، المغازي.

ويكيبيديا، «Shurahbil ibn Amr». https://en.wikipedia.org/wiki/Shurahbil_ibn_Amr

والعبرة: الإسلام **يحترم الرسل** ويطالب بالعدل إذا انتُهك حقّهم. ولم يقتل رسول الله ﷺ رسولًا قطّ، وإن حمل إليه كلامًا مؤذيًا.

ثلاثة أمراء في تعيينٍ واحد

جهّز رسول الله ﷺ جيشًا، وصنع أمرًا **لم يُصنع قبل ذلك**: لم يؤمّر رجلًا واحدًا، بل أمّر ثلاثة على التعاقب. يروي عبد الله بن عمر رضى الله عنهما، وقد شهد تلك الغزوة:

حديث — صحيح البخاري، رقم ٤٢٦١

أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ، حَدَّثَنَا مُغِيرَةُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ نَافِعٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ ـ رضى الله عنهما ـ قَالَ أَمَّرَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِي غَزْوَةِ مُوتَةَ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِنْ قُتِلَ زَيْدٌ فَجَعْفَرٌ، وَإِنْ قُتِلَ جَعْفَرٌ فَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ. قَالَ عَبْدُ اللَّهِ كُنْتُ فِيهِمْ فِي تِلْكَ الْغَزْوَةِ فَالْتَمَسْنَا جَعْفَرَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ، فَوَجَدْنَاهُ فِي الْقَتْلَى، وَوَجَدْنَا مَا فِي جَسَدِهِ بِضْعًا وَتِسْعِينَ مِنْ طَعْنَةٍ وَرَمْيَةٍ.

السند رواه الإمام البخاري: عن أحمد بن أبي بكر، عن المغيرة بن عبد الرحمن، عن عبد الله بن سعيد، عن نافع، عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما.

التخريج: رواه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة مؤتة من أرض الشام، حديث رقم ٤٢٦١.

الدرجة: صحيح — أخرجه البخاري في صحيحه، أصحّ الكتب بعد القرآن الكريم بإجماع أهل الحديث.

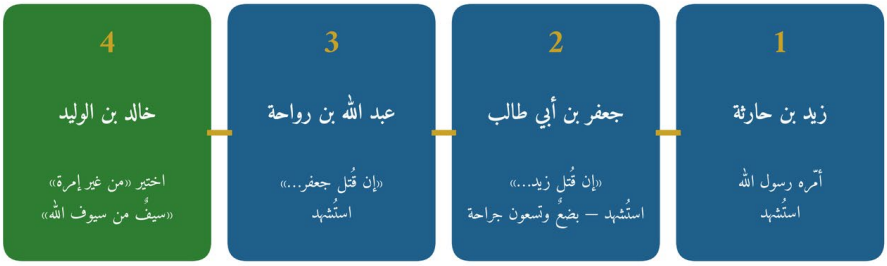
المصدر: https://sunnah.com/bukhari:4261

دروسٌ من هذا الحديث

يدلّ هذا التعيين المتعاقب على **تدبيرٍ محكم**. فالجيش الذي يفقد أميره وسط المعركة قد يضطرب؛ ومع ترتيبٍ واضح يعرف كلّ جنديّ من يتّبع. ويدلّ أيضًا على أنّ رسول الله ﷺ **توقّع قتالًا شديدًا**.

وذكر علماء السيرة أنّ بعض الصحابة فهموا من هذا التعيين **إشارةً** إلى أنّ الثلاثة سيُستشهدون — وكذلك كان. وقد شهد ابن عمر نفسه جسد جعفر وفيه بضعٌ وتسعون جراحة. والحديث أيضًا دليلٌ فقهيّ على **جواز تعليق الإمارة**: «إن قُتل فلانٌ ففلان».

الراية تنتقل من يدٍ إلى يد



الأزرق: أمّره رسول الله (البخاري 4261). الأخضر: اختاره الجيش في الميدان (البخاري 1246، 4262).

الرسم ٢: الراية تنتقل من يدٍ إلى يد في مؤتة.

زيد بن حارثة: الخليق بالإمارة

الأمير الأوّل **زيد بن حارثة** رضى الله عنه — المولى الذي وهبته خديجة لرسول الله ﷺ، فاختار البقاء معه على الرجوع إلى أهله. وهو الصحابيّ الوحيد **المذكور اسمه صراحةً في القرآن الكريم**:

﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا﴾ (الأحزاب ٣٣: ٣٧) — تفسير ابن كثير ٣٣: ٣٧.

وتأميرُ مولًى على جيشٍ فيه سادة قريش والأنصار **درسٌ عظيم في المساواة** في الإسلام. فميزان المرء التقوى والكفاءة لا النسب. ولمّا طعن بعض الناس في إمارة ابنه أسامة، دافع رسول الله ﷺ عنهما معًا:

حديث — صحيح البخاري، رقم ٣٧٣٠

حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ مَخْلَدٍ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ، قَالَ حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ دِينَارٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ - رضى الله عنهما - قَالَ بَعَثَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم بَعْثًا، وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ، فَطَعَنَ بَعْضُ النَّاسِ فِي إِمَارَتِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم إِنْ تَطْعُنُوا فِي إِمَارَتِهِ فَقَدْ كُنْتُمْ تَطْعُنُونَ فِي إِمَارَةِ أَبِيهِ مِنْ قَبْلُ، وَايْمُ اللَّهِ، إِنْ كَانَ لَخَلِيقًا لِلإِمَارَةِ، وَإِنْ كَانَ لَمِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَإِنَّ هَذَا لَمِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ بَعْدَهُ.

السند رواه الإمام البخاري: عن خالد بن مخلد، عن سليمان بن بلال، عن عبد الله بن دينار، عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما.

التخريج: رواه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب فضائل أصحاب النبيّ ﷺ، باب مناقب زيد بن حارثة، حديث رقم ٣٧٣٠.

الدرجة: صحيح — أخرجه البخاري في صحيحه، أصحّ الكتب بعد القرآن الكريم بإجماع أهل الحديث.

المصدر: https://sunnah.com/bukhari:3730

دروسٌ من هذا الحديث

أقسم رسول الله ﷺ أنّ زيدًا «**لَخَلِيقًا لِلْإِمَارَةِ**». وهذا الثناء صادرٌ عن أعرف الناس بأصحابه. وفي مؤتة صدّق زيدٌ ذلك: حمل الراية في الصفّ الأوّل حتى استُشهد، **ولم يتراجع** أمام جيشٍ أكبر منه بكثير.

جعفر بن أبي طالب: صاحب المساكين

الأمير الثاني **جعفر بن أبي طالب** رضى الله عنه، ابن عمّ رسول الله ﷺ وأخو عليّ. قاد المسلمين المهاجرين إلى الحبشة، وخطب بين يدي النجاشيّ بآياتٍ من سورة مريم، وعاد إلى المدينة حين فُتحت خيبر — قبل مؤتة بنحو عام. وقد قال له رسول الله ﷺ: «**أَشْبَهْتَ خَلْقِي وَخُلُقِي**» صحيح البخاري ٢٦٩٩.

ومع شرف نسبه عُرف جعفر **بحبّه للمساكين**. يحدّث أبو هريرة رضى الله عنه، الذي كان يلصق بطنه بالحصباء من الجوع:

حديث — صحيح البخاري، رقم ٣٧٠٨

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ دِينَارٍ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْجُهَنِيُّ، عَنِ ابْنِ أَبِي ذِئْبٍ، عَنْ سَعِيدٍ الْمَقْبُرِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رضى الله عنه ـ أَنَّ النَّاسَ، كَانُوا يَقُولُونَ أَكْثَرَ أَبُو هُرَيْرَةَ. وَإِنِّي كُنْتُ أَلْزَمُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِشِبَعِ بَطْنِي، حَتَّى لاَ آكُلَ الْخَمِيرَ، وَلاَ أَلْبَسَ الْحَبِيرَ، وَلاَ يَخْدُمُنِي فُلاَنٌ وَلاَ فُلاَنَةُ، وَكُنْتُ أُلْصِقُ بَطْنِي بِالْحَصْبَاءِ مِنَ الْجُوعِ، وَإِنْ كُنْتُ لأَسْتَقْرِئُ الرَّجُلَ الآيَةَ هِيَ مَعِي كَيْ يَنْقَلِبَ بِي فَيُطْعِمَنِي، وَكَانَ أَخْيَرَ النَّاسِ لِلْمِسْكِينِ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، كَانَ يَنْقَلِبُ بِنَا فَيُطْعِمُنَا مَا كَانَ فِي بَيْتِهِ، حَتَّى إِنْ كَانَ لَيُخْرِجُ إِلَيْنَا الْعُكَّةَ الَّتِي لَيْسَ فِيهَا شَىْءٌ، فَنَشُقُّهَا فَنَلْعَقُ مَا فِيهَا.

السند رواه الإمام البخاري: عن أحمد بن أبي بكر، عن محمد بن إبراهيم بن دينار الجهني، عن ابن أبي ذئب، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة رضى الله عنه.

التخريج: رواه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب فضائل أصحاب النبيّ ﷺ، باب مناقب جعفر بن أبي طالب، حديث رقم ٣٧٠٨.

الدرجة: صحيح — أخرجه البخاري في صحيحه، أصحّ الكتب بعد القرآن الكريم بإجماع أهل الحديث.

المصدر: https://sunnah.com/bukhari:3708

دروسٌ من هذا الحديث

كان جعفر ينقلب بالمساكين فيطعمهم **ما كان في بيته**، حتى إنّه ليُخرج العُكّة التي ليس فيها شيءٌ فيشقّها فيلعقون ما فيها. وهذا الجود لا يولد من الغنى، بل من **سعة القلب**. وذكر العلماء أنّه لهذه الخصلة كُنّي **أبا المساكين**.

عبد الله بن رواحة: دموعٌ قبل الرحيل

الأمير الثالث **عبد الله بن رواحة** رضى الله عنه، أنصاريٌّ من الخزرج، وأحد النقباء ليلة العقبة، والشاعر الذي دوّى شعره على باب مكّة في عمرة القضاء (الحلقة ١٨). ولمّا أراد الجيش الخروج ودّعه الناس ودعوا لهم بالسلامة، فبكى ابن رواحة.

من كتب السيرة: لماذا بكى ابن رواحة؟

ذكر ابن إسحاق أنّه لمّا سُئل عن بكائه قال: أما والله ما بي حبّ الدنيا ولا صبابةٌ بكم، ولكنّي سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقرأ آيةً من كتاب الله يذكر فيها النار: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ (مريم ١٩: ٧١)، فلستُ أدري كيف لي بالصَّدَر بعد الورود. ثم أنشد شعرًا يسأل فيه **المغفرة والشهادة**.

هذه الرواية **من أخبار كتب السيرة** (ابن إسحاق، بغير إسنادٍ متّصل). لكنّ معناها موافقٌ لما اشتهر به ابن رواحة من خشية الله.

المرجع:

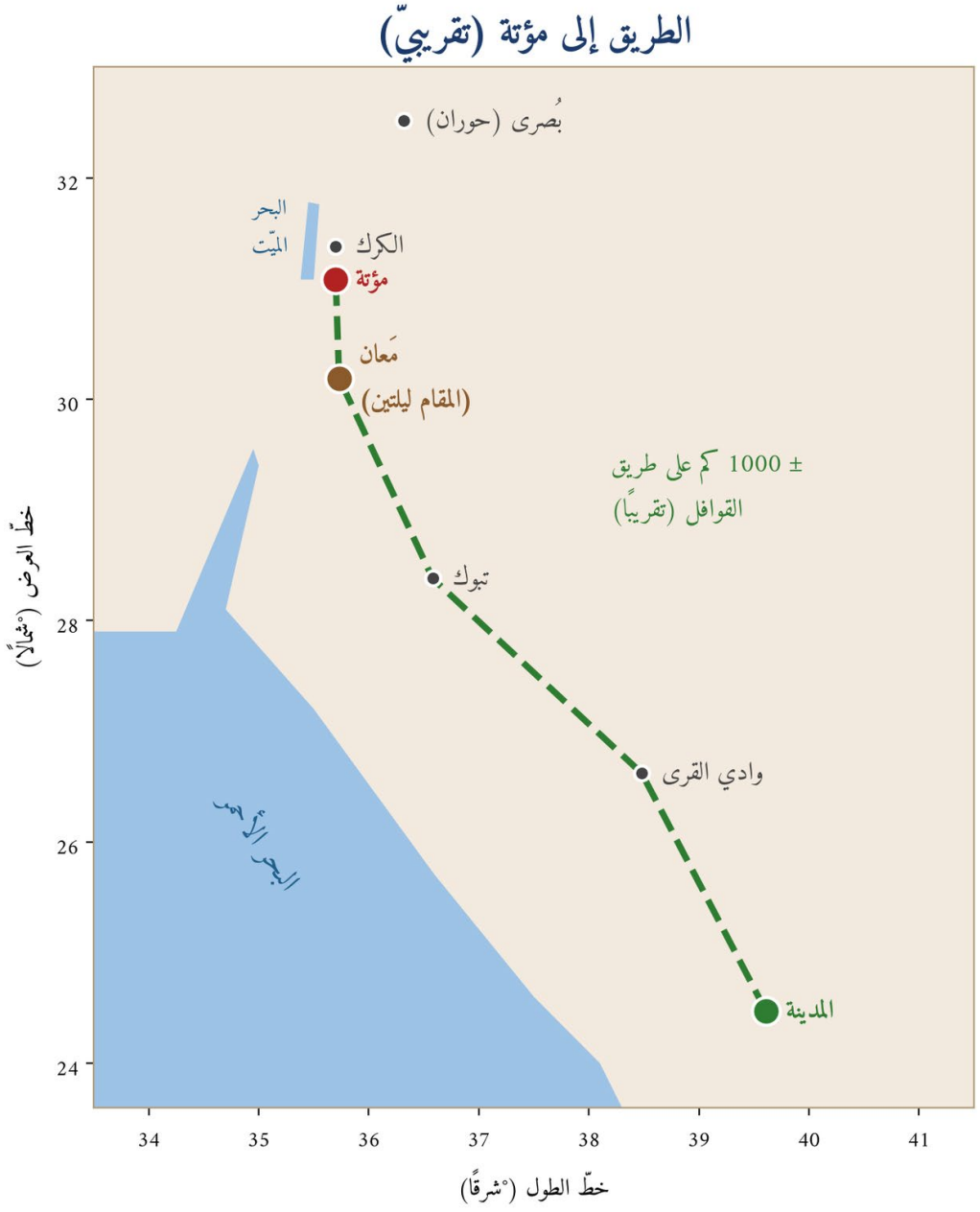
ابن هشام، السيرة النبوية (رواية ابن إسحاق) — باب غزوة مؤتة؛ ابن كثير، البداية والنهاية.

والآية التي أفزعته: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾. وقد بسط ابن كثير أقوال العلماء في معنى «الورود» هنا — وهو المرور على الصراط فوق جهنّم — تفسير ابن كثير ١٩: ٧١.

والعبرة: يخرج المؤمن مجاهدًا **لا لأنّه موقنٌ بطهارة نفسه**، بل راجيًا رحمة الله خائفًا من عذابه. وهذا هو التوازن بين **الخوف والرجاء**.

المسير إلى أرض الشام

سار الجيش — ثلاثة آلاف رجل — شمالًا على طريق القوافل إلى الشام، مرورًا بوادي القرى ونواحي تبوك حتى **مَعان** في جنوب الأردن اليوم. وتقع مؤتة على هضبةٍ شرقيَّ البحر الميّت قرب مدينة **الكرك**.



مواقع المدن بحسب الإحداثيّات الحديثة؛ والطريق تقريبيّ على درب القوافل إلى الشام. ومَعان بحسب كتب السيرة.

الرسم ٣: الطريق إلى مؤتة (تقريبيّ).

من كتب السيرة: توديع الجيش

ذكرت كتب السيرة أنّ رسول الله ﷺ شيّع الجيش من المدينة حتى موضعٍ يُعرف بـ**ثنيّة الوداع**، وأوصاهم بتقوى الله، وألّا يغدروا، ولا يقتلوا وليدًا ولا امرأةً ولا كبيرًا فانيًا ولا منعزلًا بصومعة، ولا يقطعوا شجرًا ولا يهدموا بناءً.

ووصايا آداب الحرب هذه **ثابتةٌ في الجملة** في الأحاديث الصحيحة — ومنها النهي عن قتل النساء والصبيان (صحيح البخاري ٣٠١٥) ووصيّة الأمراء (صحيح مسلم ١٧٣١) — وإن كان لفظها المخصوص يوم مؤتة من روايات كتب السيرة.

المرجع:

ابن هشام، السيرة النبوية (رواية ابن إسحاق) — باب غزوة مؤتة؛ ابن كثير، البداية والنهاية.

الواقدي، المغازي.

المسافة من المدينة إلى مؤتة نحو **ألف كيلومتر** على طريق القوافل — رحلةُ أسابيع تحت حرّ الصحراء. ولم يخرج هذا الجيش لنهب المال، بل **لطلب العدل** لدم رسولٍ مقتول وللذَّود عن كرامة الدعوة.

الشورى في مَعان

فلمّا بلغ الجيش مَعان جاءه خبرٌ مفاجئ: لقد اجتمع الروم ومعهم حلفاؤهم من العرب في عددٍ أكبر بكثير ممّا كان متوقَّعًا.

من كتب السيرة: شورى ليلتين

روى ابن إسحاق أنّ هرقل نزل مآب من أرض البلقاء في **مائة ألف** من الروم، وانضمّ إليه **مائة ألف** أخرى من قبائل العرب كلَخْم وجُذام وبَهْراء وبَلِيّ. فأقام الصحابة بمَعان ليلتين يتشاورون: فقال قائلٌ: نكتب إلى رسول الله ﷺ فنخبره بعدد عدوّنا، فإمّا أن يمدّنا بالرجال وإمّا أن يأمرنا بأمره.

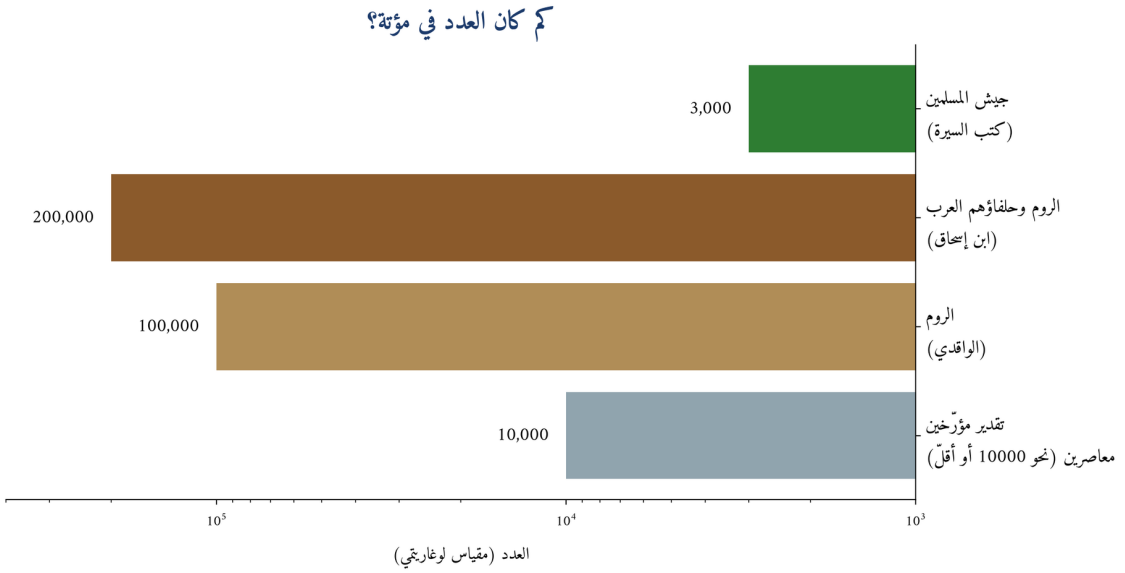
فقام عبد الله بن رواحة فقال: «**يا قوم، والله إنّ التي تكرهون للّتي خرجتم تطلبون: الشهادة. وما نقاتل الناس بعددٍ ولا قوّةٍ ولا كثرة، ما نقاتلهم إلّا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به، فانطلقوا فإنّما هي إحدى الحُسنيين: إمّا ظهورٌ وإمّا شهادة**». فقال الناس: قد والله صدق ابن رواحة، فمضوا.

عدد المائتي ألف رواية ابن إسحاق (والواقدي يذكر مائة ألف)، ويراه كثيرٌ من المؤرّخين المعاصرين **مبالغًا فيه**. وخطبة ابن رواحة أيضًا من روايات كتب السيرة.

المرجع:

ابن هشام، السيرة النبوية (رواية ابن إسحاق) — باب غزوة مؤتة؛ ابن كثير، البداية والنهاية.

ويكيبيديا، «غزوة مؤتة». https://en.wikipedia.org/wiki/Battle_of_Mu%27tah



الرسم ٤: عدد الجيشين في مؤتة بحسب المصادر المختلفة.

ومهما كان العدد الحقيقيّ فأمرٌ واحدٌ متّفقٌ عليه: كان جيش المسلمين **أصغر بكثير**، بعيدًا عن قاعدته، في مواجهة جيش إمبراطوريّةٍ مدرَّب. فكان قرار المضيّ **قرارَ إيمان**، لا حسابًا دنيويًّا محضًا.

﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ﴾

تذكّرنا كلمات ابن رواحة بجيش طالوت في مواجهة جالوت، إذ قال الذين يظنّون أنّهم ملاقو الله: ﴿**كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ**﴾ (البقرة ٢: ٢٤٩) — تفسير ابن كثير ٢: ٢٤٩.

وبيّن ابن كثير أنّ النصر لا يتوقّف على العدد والعُدّة، بل على **نصر الله والصبر**. ولا تأمر الآية المسلمين بالتهوّر من غير حساب، وإنّما تؤكّد أنّه إذا اتّضح الواجب فلا ينبغي لعدد العدوّ أن يزلزل القلب المؤمن.

وعلّم الله أدب لقاء العدوّ: ﴿**فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا**﴾ (الأنفال ٨: ٤٥) — تفسير ابن كثير ٨: ٤٥.

وفي الآية التي تليها: ﴿**وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ**﴾ (الأنفال ٨: ٤٦) — تفسير ابن كثير ٨: ٤٦.

اختلف الصحابة في مَعان في الرأي، لكنّهم **لم يتفرّقوا**. فبعد الشورى اجتمعوا خلف قرار الأمير. وهذا هو العمل بسورة الأنفال: تشاورٌ بحرّية، ثم طاعةٌ وثباتٌ إذا عُزم الأمر.

جعفر: خمسون جراحةً في مقدَّمه

التقى الجيشان بمؤتة. حمل **زيد بن حارثة** راية رسول الله ﷺ وقاتل في الصفّ الأوّل حتى شاط في رماح القوم، فاستُشهد. فأخذ الراية فورًا **جعفر بن أبي طالب**، كما رُتِّب من قبل.

وبعد المعركة وقف عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عند جسد جعفر يعدّ جراحه. ففي الحديث رقم ٤٢٦١ ذكر **بضعًا وتسعين** بين طعنةٍ ورمية؛ وفي الرواية التالية ذكر خمسين — مع تفصيلٍ بالغ الدلالة:

حديث — صحيح البخاري، رقم ٤٢٦٠

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ، حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ، عَنْ عَمْرٍو، عَنِ ابْنِ أَبِي هِلاَلٍ، قَالَ وَأَخْبَرَنِي نَافِعٌ، أَنَّ ابْنَ عُمَرَ، أَخْبَرَهُ أَنَّهُ، وَقَفَ عَلَى جَعْفَرٍ يَوْمَئِذٍ وَهْوَ قَتِيلٌ، فَعَدَدْتُ بِهِ خَمْسِينَ بَيْنَ طَعْنَةٍ وَضَرْبَةٍ، لَيْسَ مِنْهَا شَيْءٌ فِي دُبُرِهِ. يَعْنِي فِي ظَهْرِهِ.

السند رواه الإمام البخاري: عن أحمد بن عيسى، عن عبد الله بن وهب، عن عمرو بن الحارث، عن سعيد بن أبي هلال، قال: وأخبرني نافع، عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما.

التخريج: رواه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة مؤتة من أرض الشام، حديث رقم ٤٢٦٠.

الدرجة: صحيح — أخرجه البخاري في صحيحه، أصحّ الكتب بعد القرآن الكريم بإجماع أهل الحديث.

المصدر: https://sunnah.com/bukhari:4260

دروسٌ من هذا الحديث

«لَيْسَ مِنْهَا شَيْءٌ فِي دُبُرِهِ». كانت جراح جعفر كلّها في مقدَّم جسده — علامةً على أنّه **لم يولِّ ظهره قطّ** للعدوّ. وبيّن ابن حجر في فتح الباري أنّ اختلاف العدد (خمسون وبضعٌ وتسعون) قد يكون لأنّ الأوّل عدّ الطعن والضرب فقط، والثاني أضاف أثر الرمي — أو أنّ كلًّا منهما عدّ موضعًا مختلفًا من الجسد.

من كتب السيرة: جعفر وفرسه

روى أبو داود (رقم ٢٥٧٣) عن رجلٍ من بني مُرّة شهد مؤتة: «**والله لكأنّي أنظر إلى جعفر حين اقتحم عن فرسٍ له شقراء فعقرها، ثم قاتل حتى قُتل**». وفي فعله هذا عزمٌ على ألّا يتراجع.

قال أبو داود نفسه: «ليس هذا الحديث بالقويّ»، وحكم عليه الشيخ الألبانيّ بأنّه **حسن**. وتذكر كتب السيرة أيضًا أنّ جعفرًا أخذ الراية بيمينه فقُطعت، ثم بشماله فقُطعت، ثم احتضنها بعضديه — وهو تفصيلٌ **لا يوجد في الأحاديث الصحيحة**.

المرجع:

ابن هشام، السيرة النبوية (رواية ابن إسحاق) — باب غزوة مؤتة؛ ابن كثير، البداية والنهاية.

ابن حجر العسقلاني، فتح الباري — كتاب المغازي، باب غزوة مؤتة.

ذو الجناحين

استُشهد جعفر شابًّا، وترك زوجته **أسماء بنت عُميس** وأطفالًا صغارًا وُلدوا في الحبشة. لكنّ الله عوّضه عمّا فقد كرامةً باقية. وقد عرف الصحابة اللقب الذي أُعطيه:

حديث — صحيح البخاري، رقم ٤٢٦٤

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ، حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ عَلِيٍّ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ، عَنْ عَامِرٍ، قَالَ كَانَ ابْنُ عُمَرَ إِذَا حَيَّا ابْنَ جَعْفَرٍ قَالَ السَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا ابْنَ ذِي الْجَنَاحَيْنِ.

السند رواه الإمام البخاري: عن محمد بن أبي بكر المقدّمي، عن عمر بن عليّ المقدّمي، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن عامر الشعبي، عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما.

التخريج: رواه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة مؤتة من أرض الشام، حديث رقم ٤٢٦٤؛ وأيضًا رقم ٣٧٠٩ (باب مناقب جعفر بن أبي طالب).

الدرجة: صحيح — أخرجه البخاري في صحيحه، أصحّ الكتب بعد القرآن الكريم بإجماع أهل الحديث.

المصدر: https://sunnah.com/bukhari:4264

دروسٌ من هذا الحديث

ذو الجناحين — صاحب الجناحين. بيّن ابن حجر في فتح الباري أنّ هذا اللقب يرجع إلى الروايات بأنّ الله أبدل جعفرًا بيديه اللتين قُطعتا في مؤتة **جناحين** يطير بهما مع الملائكة في الجنّة. وكان ابن عمر رضى الله عنهما يسلّم على ابنه عبد الله بن جعفر بهذا اللقب إكرامًا لأبيه.

من كتب السيرة: الروايات في جناحي جعفر

وردت روايات بأنّ رسول الله ﷺ رأى جعفرًا يطير في الجنّة مع الملائكة بجناحين، منها ما في جامع الترمذي (رقم ٣٧٦٣)، وعند الحاكم والطبراني. وفي أسانيدها كلامٌ عند أهل الحديث، لكن بكثرة طرقها قوّاها بعض العلماء كابن حجر.

والذي **صحّ قطعًا** هو صنيع ابن عمر في صحيح البخاري إذ كان يقول لابن جعفر: «السلام عليك يا ابن ذي الجناحين» — ممّا يدلّ على شهرة هذا اللقب بين الصحابة.

المرجع:

ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، باب مناقب جعفر؛ الإصابة في تمييز الصحابة.

والعبرة: اليد التي كانت تُطعم المساكين، ثم حملت الراية حتى قُطعت، أبدلها الله **جناحين في الجنّة**. فما بُذل لله لا يضيع أبدًا؛ إنّما **يُنقل** إلى دارٍ أبقى.

ابن رواحة: «يا نفسُ...»

بعد استشهاد جعفر أخذ الراية **عبد الله بن رواحة**. وتذكر الأحاديث الصحيحة ذلك باختصار: «ثُمَّ أَخَذَهَا ابْنُ رَوَاحَةَ فَأُصِيبَ» (صحيح البخاري ٤٢٦٢). أمّا كتب السيرة ففصّلت لحظاته الأخيرة.

من كتب السيرة: «يا نفسُ...»

روى ابن إسحاق أنّ ابن رواحة أخذ الراية وهو على فرسه، فجعل **يتردّد بعض التردّد**، ثم قال يخاطب نفسه شعرًا: «**أقسمتُ يا نفسُ لتنزِلنَّهْ — لتنزِلنَّ أو لتُكرَهنَّهْ — إن أجلبَ الناسُ وشدّوا الرَّنَّهْ — ما لي أراكِ تكرهين الجنّهْ**». ثم نزل فقاتل حتى استُشهد.

هذا الشعر **من روايات كتب السيرة** بغير إسنادٍ متّصل. لكنّه يصوّر أمرًا إنسانيًّا عميقًا: صحابيٌّ جليل **يجاهد الخوف في نفسه** ثم يغلبه.

المرجع:

ابن هشام، السيرة النبوية (رواية ابن إسحاق) — باب غزوة مؤتة؛ ابن كثير، البداية والنهاية.

ابن رواحة هو الشاعر الذي ألهب شعرُه حماسة الناس على باب مكّة. وفي مؤتة استعمل الشعر **ليُلهب حماسة نفسه**. وهذا أدقّ الجهاد: **جهاد النفس** — حملُها على ما يرضي الله وإن ثقل على القلب.

وقد قال رسول الله ﷺ في الذي يملك نفسه: «**لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ**» (صحيح البخاري ٦١١٤). وضبطُ الخوف في ساحة القتال قوّةٌ من الجنس نفسه.

سيفٌ من سيوف الله

استُشهد الأمراء الثلاثة المعيَّنون، ولم يعيّن رسول الله ﷺ أميرًا رابعًا. وفي تلك اللحظة الحرجة اختار الجيش **خالد بن الوليد** — الرجل الذي قاد يوم أحد خيل قريش على المسلمين، ولم يُسلم إلّا قبل مؤتة بأشهر.

حديث — صحيح البخاري، رقم ١٢٤٦

حَدَّثَنَا أَبُو مَعْمَرٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَارِثِ، حَدَّثَنَا أَيُّوبُ، عَنْ حُمَيْدِ بْنِ هِلاَلٍ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ـ رضى الله عنه ـ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم أَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدٌ فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَهَا جَعْفَرٌ فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ فَأُصِيبَ ـ وَإِنَّ عَيْنَىْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لَتَذْرِفَانِ ـ ثُمَّ أَخَذَهَا خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ مِنْ غَيْرِ إِمْرَةٍ فَفُتِحَ لَهُ

السند رواه الإمام البخاري: عن أبي معمر، عن عبد الوارث بن سعيد، عن أيّوب السختياني، عن حميد بن هلال، عن أنس بن مالك رضى الله عنه.

التخريج: رواه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب الرجل ينعى إلى أهل الميّت بنفسه، حديث رقم ١٢٤٦.

الدرجة: صحيح — أخرجه البخاري في صحيحه، أصحّ الكتب بعد القرآن الكريم بإجماع أهل الحديث.

المصدر: https://sunnah.com/bukhari:1246

دروسٌ من هذا الحديث

«مِنْ غَيْرِ إِمْرَةٍ») من غير إمرة) — لم يؤمّر رسول الله ﷺ خالدًا، بل اختاره الصحابة في الميدان. وذكر ابن حجر أنّ الحديث دليلٌ على أنّه إذا غاب الأمير المعيَّن واشتدّت الحاجة **جاز للجماعة أن تختار أميرًا** للمصلحة، وقد أقرّ رسول الله ﷺ ذلك.

من كتب السيرة: كيف اختير خالد؟

روى ابن إسحاق أنّه لمّا قُتل ابن رواحة أخذ الراية **ثابت بن أقرم** (من بَلِيّ، حليف بني العَجلان)، فقال: يا معشر المسلمين، اصطلحوا على رجلٍ منكم. قالوا: أنت. قال: ما أنا بفاعل. فاصطلح الناس على خالد بن الوليد.

هذا التفصيل **من روايات كتب السيرة**؛ والصحيح أنّ خالدًا أخذ الراية «من غير إمرة» ففُتح له.

المرجع:

ابن هشام، السيرة النبوية (رواية ابن إسحاق) — باب غزوة مؤتة؛ ابن كثير، البداية والنهاية.

تأمّل موقف ثابت بن أقرم: حمل الراية لكنّه **لم يتنازع على الإمارة**، بل دفعها إلى من هو أعلم بفنون الحرب. وهذا أدب القيادة في الإسلام: الإمارة أمانةٌ لا مفخرة.

تسعة أسياف انقطعت

كيف كانت شدّة القتال تحت قيادة خالد؟ وصفها هو بجملةٍ قصيرةٍ تختصر كلّ شيء:

حديث — صحيح البخاري، رقم ٤٢٦٥

حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ، قَالَ سَمِعْتُ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ، يَقُولُ لَقَدِ انْقَطَعَتْ فِي يَدِي يَوْمَ مُوتَةَ تِسْعَةُ أَسْيَافٍ، فَمَا بَقِيَ فِي يَدِي إِلاَّ صَفِيحَةٌ يَمَانِيَةٌ.

السند رواه الإمام البخاري: عن أبي نعيم الفضل بن دكين، عن سفيان الثوري، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم، عن خالد بن الوليد رضى الله عنه.

التخريج: رواه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة مؤتة من أرض الشام، حديث رقم ٤٢٦٥، وأيضًا رقم ٤٢٦٦.

الدرجة: صحيح — أخرجه البخاري في صحيحه، أصحّ الكتب بعد القرآن الكريم بإجماع أهل الحديث.

المصدر: https://sunnah.com/bukhari:4265

دروسٌ من هذا الحديث

تسعة أسياف انقطعت في يد رجلٍ واحد في يومٍ واحد، ولم يصبر في يده إلّا صفيحةٌ يمانيّة. وبيّن ابن حجر أنّ ذلك يدلّ على **شدّة القتال** وكثرة من قاتلهم خالد بنفسه.

من كتب السيرة: خطّة خالد

ذكر الواقدي وغيره من المؤرّخين أنّ خالدًا قاتل حتى المساء، ثم **أعاد ترتيب الصفوف** في الليل: جعل الميمنة ميسرة، والمقدّمة ساقة، وأمر طائفةً أن تثير الغبار من الخلف. فلمّا أصبحوا رأى الروم وجوهًا جديدة فظنّوا أنّ المدد قد جاء من المدينة، فرُعبوا، وتمكّن خالد من **الانحياز بجيش المسلمين سالمًا**.

تفاصيل هذه الخطّة من **أخبار كتب السيرة** ولم تُذكر في الأحاديث الصحيحة. واختلف المؤرّخون في تفاصيلها، لكنّهم متّفقون على أنّ خالدًا نجّى معظم الجيش.

المرجع:

الواقدي، المغازي؛ ابن كثير، البداية والنهاية.

ويكيبيديا، «خالد بن الوليد». https://en.wikipedia.org/wiki/Khalid_ibn_al-Walid

في أحد استعمل خالد دهاءه العسكريّ **ضدّ** المسلمين، وفي مؤتة استعمل الدهاء نفسه **لإنقاذهم**. فالإسلام لا يُهدر موهبة أحد، بل **يحوّل وجهتها** إلى الخير. قال رسول الله ﷺ: «خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فَقُهُوا» (صحيح البخاري ٣٤٩٣).

الخبر قبل الخبر

بينما كانت المعركة تدور في أرض الشام، على بُعد أكثر من ألف كيلومتر، كان رسول الله ﷺ في المدينة. لا خيلٌ سريعة، ولا رسول، ولا وسيلة اتّصال. ومع ذلك صعد المنبر وأخبر بما يجري:

حديث — صحيح البخاري، رقم ٤٢٦٢

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ وَاقِدٍ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ حُمَيْدِ بْنِ هِلاَلٍ، عَنْ أَنَسٍ ـ رضى الله عنه ـ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم نَعَى زَيْدًا وَجَعْفَرًا وَابْنَ رَوَاحَةَ لِلنَّاسِ، قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَهُمْ خَبَرُهُمْ فَقَالَ أَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدٌ فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَ جَعْفَرٌ فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَ ابْنُ رَوَاحَةَ فَأُصِيبَ ـ وَعَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ ـ حَتَّى أَخَذَ الرَّايَةَ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ.

السند رواه الإمام البخاري: عن أحمد بن واقد، عن حمّاد بن زيد، عن أيّوب السختياني، عن حميد بن هلال، عن أنس بن مالك رضى الله عنه.

التخريج: رواه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة مؤتة من أرض الشام، حديث رقم ٤٢٦٢؛ وأيضًا رقم ١٢٤٦ و٢٧٩٨ و٣٠٦٣ و٣٧٥٧.

الدرجة: صحيح — أخرجه البخاري في صحيحه، أصحّ الكتب بعد القرآن الكريم بإجماع أهل الحديث.

المصدر: https://sunnah.com/bukhari:4262

دروسٌ من هذا الحديث

في هذا الحديث **معجزةٌ** ظاهرة: أخبر رسول الله ﷺ بمقتل الأمراء الثلاثة بترتيبهم الدقيق، وبالفتح على يد خالد، **قبل** وصول الخبر. وعدّه العلماء من دلائل النبوّة، لأنّ هذا العلم لا يكون إلّا بالوحي.

وفي الحديث أيضًا اللقب الذي لازم خالدًا: «**سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ**» سيف من سيوف الله). فلقب سيف الله وُلد في مؤتة — في أوّل غزوةٍ لخالد مسلمًا.

وتأمّل حال رسول الله ﷺ وهو يخبرهم: «**وَعَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ**». فأقوى قائدٍ للأمّة هو أيضًا ألينُها قلبًا على أصحابه.

المَدَديّ وطاعة الأمير

كان في جيش مؤتة رجلٌ من اليمن جاء مَدَدِيًّا (من المدد). يحدّث عوف بن مالك رضى الله عنه في رواية أبي داود (رقم ٢٧١٩، وصحّحه الألبانيّ) أنّ هذا الرجل لم يكن معه إلّا سيفه، فاتّخذ درقةً من جلد جزورٍ نُحرت. وفي القتال جعل رومِيٌّ على فرسٍ أشقر، عليه سرجٌ مذهّب وسلاحٌ مذهّب، يُغري بالمسلمين؛ فقعد له المدديّ خلف صخرة، فعرقب فرسه، ثم قتله.

فأخذ خالد بصفته الأمير ما على العدوّ (السَّلَب) لأنّه استكثره. وروى الإمام مسلم ما جرى بعد ذلك:

حديث — صحيح مسلم، رقم ١٧٥٣

وَحَدَّثَنِي أَبُو الطَّاهِرِ، أَحْمَدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ سَرْحٍ أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي مُعَاوِيَةُ بْنُ صَالِحٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ قَتَلَ رَجُلٌ مِنْ حِمْيَرَ رَجُلاً مِنَ الْعَدُوِّ فَأَرَادَ سَلَبَهُ فَمَنَعَهُ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ وَكَانَ وَالِيًا عَلَيْهِمْ فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَوْفُ بْنُ مَالِكٍ فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ لِخَالِدٍ مَا مَنَعَكَ أَنْ تُعْطِيَهُ سَلَبَهُ. قَالَ اسْتَكْثَرْتُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ ادْفَعْهُ إِلَيْهِ. فَمَرَّ خَالِدٌ بِعَوْفٍ فَجَرَّ بِرِدَائِهِ ثُمَّ قَالَ هَلْ أَنْجَزْتُ لَكَ مَا ذَكَرْتُ لَكَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَسَمِعَهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَاسْتَغْضَبَ فَقَالَ لاَ تُعْطِهِ يَا خَالِدُ لاَ تُعْطِهِ يَا خَالِدُ هَلْ أَنْتُمْ تَارِكُونَ لِي أُمَرَائِي إِنَّمَا مَثَلُكُمْ وَمَثَلُهُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَرْعَى إِبِلاً أَوْ غَنَمًا فَرَعَاهَا ثُمَّ تَحَيَّنَ سَقْيَهَا فَأَوْرَدَهَا حَوْضًا فَشَرِعَتْ فِيهِ فَشَرِبَتْ صَفْوَهُ وَتَرَكَتْ كَدَرَهُ فَصَفْوُهُ لَكُمْ وَكَدَرُهُ عَلَيْهِمْ.

السند رواه الإمام مسلم: عن أبي الطاهر أحمد بن عمرو بن السرح، عن عبد الله بن وهب، عن معاوية بن صالح، عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير، عن أبيه جبير بن نفير، عن عوف بن مالك الأشجعي رضى الله عنه.

التخريج: رواه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب استحقاق القاتل سلب القتيل، حديث رقم ١٧٥٣أ. وفي رواية أبي داود (رقم ٢٧١٩) ذكر عوفٌ أنّ ذلك كان في غزوة مؤتة.

الدرجة: صحيح — أخرجه مسلم في صحيحه.

المصدر: https://sunnah.com/muslim:1753a

دروسٌ من هذا الحديث

في هذا الحديث درسان متوازنان. **الأوّل**: حقّ الجنديّ محفوظ؛ فقد أمر رسول الله ﷺ خالدًا بردّ السلب. **والثاني**: لمّا استعمل عوفٌ هذا الحكم ليُحرج خالدًا أمام الناس، فإنّ رسول الله ﷺ **نقضه** وقال: «هَلْ أَنْتُمْ تَارِكُونَ لِي أُمَرَائِي؟»

ومثل الحوض في الحديث بديعٌ: للرعيّة **صفوُ الماء** (الخير)، وعلى الأمراء **كَدَرُه** (الأعباء واللوم). فلا ينبغي للرعيّة أن تزيد الأمراء عبئًا بالسبّ. فالنصيحة جائزة ولكن بأدب، والمطالبة بالحقّ جائزة ولكن من غير إسقاطٍ للكرامة.

دموع رسول الله ﷺ

ثم جاء الخبر الرسميّ إلى المدينة. وتصف عائشة رضى الله عنها الحال في بيت رسول الله ﷺ حينئذٍ:

حديث — صحيح البخاري، رقم ٤٢٦٣

حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ، قَالَ سَمِعْتُ يَحْيَى بْنَ سَعِيدٍ، قَالَ أَخْبَرَتْنِي عَمْرَةُ، قَالَتْ سَمِعْتُ عَائِشَةَ ـ رضى الله عنها ـ تَقُولُ لَمَّا جَاءَ قَتْلُ ابْنِ حَارِثَةَ وَجَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ ـ رضى الله عنهم ـ جَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يُعْرَفُ فِيهِ الْحُزْنُ ـ قَالَتْ عَائِشَةُ ـ وَأَنَا أَطَّلِعُ مِنْ صَائِرِ الْبَابِ ـ تَعْنِي مِنْ شَقِّ الْبَابِ ـ فَأَتَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ أَىْ رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ نِسَاءَ جَعْفَرٍ قَالَ وَذَكَرَ بُكَاءَهُنَّ، فَأَمَرَهُ أَنْ يَنْهَاهُنَّ قَالَ فَذَهَبَ الرَّجُلُ ثُمَّ أَتَى فَقَالَ قَدْ نَهَيْتُهُنَّ. وَذَكَرَ أَنَّهُ لَمْ يُطِعْنَهُ قَالَ فَأَمَرَ أَيْضًا فَذَهَبَ ثُمَّ أَتَى فَقَالَ وَاللَّهِ لَقَدْ غَلَبْنَنَا. فَزَعَمَتْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ فَاحْثُ فِي أَفْوَاهِهِنَّ مِنَ التُّرَابِ قَالَتْ عَائِشَةُ فَقُلْتُ أَرْغَمَ اللَّهُ أَنْفَكَ، فَوَاللَّهِ مَا أَنْتَ تَفْعَلُ، وَمَا تَرَكْتَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مِنَ الْعَنَاءِ.

السند رواه الإمام البخاري: عن قتيبة بن سعيد، عن عبد الوهّاب الثقفي، عن يحيى بن سعيد الأنصاري، عن عمرة بنت عبد الرحمن، عن عائشة رضى الله عنها.

التخريج: رواه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة مؤتة من أرض الشام، حديث رقم ٤٢٦٣؛ وأيضًا رقم ١٢٩٩.

الدرجة: صحيح — أخرجه البخاري في صحيحه، أصحّ الكتب بعد القرآن الكريم بإجماع أهل الحديث.

المصدر: https://sunnah.com/bukhari:4263

دروسٌ من هذا الحديث

جلس رسول الله ﷺ **يُعرف فيه الحزن.** والحزن ليس علامة ضعف الإيمان، بل علامة قلبٍ حيّ. وقد وضع الإمام البخاري الحديث نفسه في كتاب الجنائز تحت باب: «مَن جلس عند المصيبة يُعرف فيه الحزن» (رقم ١٢٩٩).

لكنّه **نهى عن النياحة** (النياحة) — البكاء بالصراخ والندب والإكثار من تعداد محاسن الميّت. وبيّن العلماء أنّ الأمر «فَاحْثُ فِي أَفْوَاهِهِنَّ التُّرَابَ» تعبيرٌ عن **شدّة النهي** عن النياحة، لا أمرٌ يُنفَّذ على حقيقته. فالبكاء بالدمع جائز، والنياحة محرّمة.

وعلّم القرآن الموقف الصحيح عند المصيبة: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ (البقرة ٢: ١٥٦) — تفسير ابن كثير ٢: ١٥٦.

وجزاؤهم: ﴿أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾ (البقرة ٢: ١٥٧) — تفسير ابن كثير ٢: ١٥٧.

طعامٌ لآل جعفر

في بيت جعفر تلقّت أسماء بنت عميس نبأ استشهاد زوجها ومعها أطفالٌ صغار. ولم يكتفِ رسول الله ﷺ بالتعزية، بل أعطى أهل بيته **توجيهًا عمليًّا**:

حديث — جامع الترمذي، رقم ٩٩٨

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مَنِيعٍ، وَعَلِيُّ بْنُ حُجْرٍ، قَالاَ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ خَالِدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ، قَالَ لَمَّا جَاءَ نَعْيُ جَعْفَرٍ قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم اصْنَعُوا لأَهْلِ جَعْفَرٍ طَعَامًا فَإِنَّهُ قَدْ جَاءَهُمْ مَا يَشْغَلُهُمْ.

السند رواه الإمام الترمذي: عن أحمد بن منيع وعليّ بن حُجر، عن سفيان بن عيينة، عن جعفر بن خالد، عن أبيه خالد بن سارة، عن عبد الله بن جعفر رضى الله عنهما.

التخريج: رواه الإمام الترمذي في جامعه، كتاب الجنائز، باب ما جاء في الطعام يُصنع لأهل الميّت، حديث رقم ٩٩٨؛ وأيضًا أبو داود رقم ٣١٣٢.

المصدر: https://sunnah.com/tirmidhi:998

دروسٌ من هذا الحديث

وهذه **السنّة** في التعزية: أن يصنع الجيران والأقارب طعامًا لأهل الميّت، لأنّهم مشغولون بمصيبتهم لا يتفرّغون للطبخ. وذكر الإمام الترمذي أنّ بعض أهل العلم كان يستحبّ ذلك، وهو قول الإمام الشافعي. أمّا العكس — أن يُكلَّف أهل الميّت بصنع الطعام للضيوف — فمخالفٌ لروح هذا الحديث.

وحدّث عبد الله بن جعفر أيضًا في رواية أبي داود (رقم ٤١٩٢، وصحّحه الألبانيّ) أنّ رسول الله ﷺ أمهل آل جعفر **ثلاثًا**، ثم أتاهم فقال: «**لَا تَبْكُوا عَلَى أَخِي بَعْدَ الْيَوْمِ**». ثم قال: «ادعوا لي بني أخي» — «فجيء بنا كأنّا أفرخ» — فدعا بالحلّاق فحلق رؤوسهم.

وصارت مدّة الأيّام الثلاثة أصلًا في **حكم الإحداد** لغير الزوجة: لا يزيد على ثلاث. وحلق رسول الله ﷺ رؤوس الأيتام علامةً على **بدايةٍ جديدة**، وعلى أنّه هو نفسه يتولّى رعايتهم. فالرحمة باليتيم لا تقف عند الكلام، بل تُترجم إلى فعل.

﴿بَلْ أَحْيَاءٌ﴾

ما مصير زيدٍ وجعفرٍ وابن رواحة وسائر الصحابة الذين استُشهدوا في مؤتة؟ يجيب القرآن بوضوح:

سورة آل عمران (٣): ١٦٩-١٧١

وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾

فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾

يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾

المصدر: quran.com/3:169-171

وقد سأل الصحابة أنفسهم عن معنى هذه الآية. يروي عبد الله بن مسعود رضى الله عنه جواب رسول الله ﷺ:

حديث — صحيح مسلم، رقم ١٨٨٧

حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى، وَأَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ كِلاَهُمَا عَنْ أَبِي مُعَاوِيَةَ، ح وَحَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، أَخْبَرَنَا جَرِيرٌ، وَعِيسَى بْنُ يُونُسَ، جَمِيعًا عَنِ الأَعْمَشِ، ح وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ، - وَاللَّفْظُ لَهُ - حَدَّثَنَا أَسْبَاطٌ، وَأَبُو مُعَاوِيَةَ قَالاَ حَدَّثَنَا الأَعْمَشُ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُرَّةَ، عَنْ مَسْرُوقٍ، قَالَ سَأَلْنَا عَبْدَ اللَّهِ عَنْ هَذِهِ الآيَةِ، { وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ} قَالَ أَمَا إِنَّا قَدْ سَأَلْنَا عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ أَرْوَاحُهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ لَهَا قَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ تَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ ثُمَّ تَأْوِي إِلَى تِلْكَ الْقَنَادِيلِ فَاطَّلَعَ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمُ اطِّلاَعَةً فَقَالَ هَلْ تَشْتَهُونَ شَيْئًا قَالُوا أَىَّ

شَيْءٍ نَشْتَهِي وَنَحْنُ نَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شِئْنَا فَفَعَلَ ذَلِكَ بِهِمْ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ فَلَمَّا رَأَوْا أَنَّهُمْ لَنْ يُتْرَكُوا مِنْ أَنْ يُسْأَلُوا قَالُوا يَا رَبِّ نُرِيدُ أَنْ تَرُدَّ أَرْوَاحَنَا فِي أَجْسَادِنَا حَتَّى نُقْتَلَ فِي سَبِيلِكَ مَرَّةً أُخْرَى. فَلَمَّا رَأَى أَنْ لَيْسَ لَهُمْ حَاجَةٌ تُرِكُوا.

السند رواه الإمام مسلم من طرق: عن يحيى بن يحيى وأبي بكر بن أبي شيبة، عن أبي معاوية؛ وعن إسحاق بن إبراهيم، عن جرير بن عبد الحميد وعيسى بن يونس، عن الأعمش؛ وعن محمد بن عبد الله بن نمير، عن أسباط بن محمد وأبي معاوية، عن الأعمش، عن عبد الله بن مرّة، عن مسروق بن الأجدع، عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه.

التخريج: رواه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب بيان أنّ أرواح الشهداء في الجنّة، حديث رقم ١٨٨٧.

الدرجة: صحيح – أخرجه مسلم في صحيحه.

المصدر: https://sunnah.com/muslim:1887

دروسٌ من هذا الحديث

حياة الشهداء **حياةٌ برزخيّةٌ خاصّة**، تختلف عن حياة الدنيا وعن حال سائر الموتى. وبيّن ابن كثير أنّ أرواح المؤمنين عمومًا في الجنّة، لكنّ أرواح الشهداء أُكرمت بأن تكون **في أجواف طيرٍ خضر** تسرح في الجنّة.

وفي آيةٍ أخرى: ﴿**بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ**﴾ (البقرة ٢: ١٥٤) – تفسير ابن كثير ٢: ١٥٤.

أمنية الشهداء

في حديث ابن مسعود سأل الشهداء أن يُردّوا إلى الدنيا **ليُقتلوا مرّةً أخرى** في سبيل الله. ويروي أنس بن مالك رضى الله عنه قولًا مثله:

حديث — صحيح البخاري، رقم ٢٨١٧

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا غُنْدَرٌ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، قَالَ سَمِعْتُ قَتَادَةَ، قَالَ سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ ـ رضى الله عنه ـ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ مَا أَحَدٌ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يُحِبُّ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا وَلَهُ مَا عَلَى الأَرْضِ مِنْ شَىْءٍ، إِلاَّ الشَّهِيدُ، يَتَمَنَّى أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا فَيُقْتَلَ عَشْرَ مَرَّاتٍ، لِمَا يَرَى مِنَ الْكَرَامَةِ.

السند رواه الإمام البخاري: عن محمد بن بشّار، عن غندر (محمد بن جعفر)، عن شعبة بن الحجّاج، عن قتادة، عن أنس بن مالك رضى الله عنه.

التخريج: رواه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب تمنّي المجاهد أن يرجع إلى الدنيا، حديث رقم ٢٨١٧.

الدرجة: صحيح — أخرجه البخاري في صحيحه، أصحّ الكتب بعد القرآن الكريم بإجماع أهل الحديث.

المصدر: https://sunnah.com/bukhari:2817

دروسٌ من هذا الحديث

لا يتمنّى أهل الجنّة الرجوع إلى الدنيا ولو أُعطوا ما فيها — **إلّا الشهيد**، لما يرى من الكرامة. وهذا يفسّر شجاعة الصحابة في مؤتة: كانوا يرون الموت في سبيل الله لا خسارةً، بل **بابًا إلى الكرامة**.

سورة الأحزاب (٣٣): ٢٣

مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾

المصدر: quran.com/33:23

تصف هذه الآية صحابة مؤتة بدقّة: فزيدٌ وجعفرٌ وابن رواحة **قضوا نحبهم**، وخالدٌ وغيره **ينتظرون** — ﴿وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾.

تنبيه: أحاديث فضل الشهادة تتعلّق بالجهاد المشروع تحت راية مشروعة، بنيّة إعلاء كلمة الله، مع الالتزام بآداب الحرب التي قرّرها الشرع. ولا يجوز اتّخاذها ذريعةً للعدوان على المدنيّين أو لأفعالٍ فرديّةٍ مخالفةٍ لأحكام الشريعة.

نصرٌ أم انسحاب؟

أكانت مؤتة نصرًا أم هزيمة؟ سؤالٌ بحثه المؤرّخون قديمًا. وقد قال رسول الله ﷺ نفسه: «**حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ**» (صحيح البخاري ٤٢٦٢) و«**فُفُتِحَ لَهُ**» (صحيح البخاري ١٢٤٦).

الأقوال	الحجّة
نصرٌ (فتح)	قول رسول الله ﷺ، ونجاة جيشٍ صغير من إمبراطوريّةٍ كبيرة
انسحابٌ ناجح	نجّى خالدٌ الجيش من غير أن يلاحقه العدوّ
نصرٌ في بعض الميدان	تذكر بعض الروايات أنّ العدوّ أيضًا انحاز
هزيمة (المصادر الروميّة)	عدّته المصادر البيزنطيّة نصرًا لها

من كتب السيرة: «يا فُرّار!»

روى ابن إسحاق أنّه لمّا رجع الجيش إلى المدينة جعل بعض الناس يحثون عليهم التراب ويقولون: يا فُرّار (فُرّار)، فررتم في سبيل الله! فقال رسول الله ﷺ: «**لَيْسُوا بِالْفُرَّارِ، وَلَكِنَّهُمُ الْكُرَّارُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ**»

هذه الرواية من أخبار كتب السيرة وفي إسنادها مقال. وتُذكر كثيرًا لبيان أنّ الانحياز الحكيم ليس فرارًا من الزحف، موافقةً لقوله تعالى في الأنفال ٨: ١٦ الذي استثنى ﴿مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ﴾.

المرجع:

ابن هشام، السيرة النبوية (رواية ابن إسحاق) — باب غزوة مؤتة؛ ابن كثير، البداية والنهاية.

ويكيبيديا، «غزوة مؤتة». https://en.wikipedia.org/wiki/Battle_of_Mu%27tah

ومهما كان الرأي في نتيجة المعركة، فإنّ أثر مؤتة كان عظيمًا. فقد صارت القبائل العربية في الشمال ترى المسلمين **قوّةً مهيبة**، إذ جرؤ ثلاثة آلاف على مواجهة الروم. وبعد أربعة أشهر فُتحت مكّة، وبعد سنوات قاد خالدٌ نفسه جيش المسلمين في معركة اليرموك التي أنهت سلطان الروم على الشام.

أسامة: الراية الموروثة

استُشهد زيد بن حارثة في مؤتة، لكنّ قصّته لم تنتهِ هناك. فابنه **أسامة بن زيد** رضى الله عنهما نشأ في بيت رسول الله ﷺ ولُقّب «**حِبَّ رسول الله وابنَ حِبِّه**» (الحِبّ ابن الحِبّ). وبعد مؤتة بنحو ثلاث سنين، في الأيّام الأخيرة من حياته، جهّز رسول الله ﷺ جيشًا إلى أرض الشام وأمّر عليه أسامة — وهو يومئذٍ حديث السنّ جدًّا.

فطعن بعض الناس في إمارته كما طعنوا من قبل في إمارة زيد. وقد قرأنا جواب رسول الله ﷺ في الفصل الثالث: «**وَايْمُ اللَّهِ إِنْ كَانَ لَخَلِيقًا لِلْإِمَارَةِ... وَإِنَّ هَذَا لَمِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ بَعْدَهُ**» صحيح البخاري ٣٧٣٠؛ وانظر أيضًا رقم ٤٤٦٩.)

من كتب السيرة: بعث أسامة إلى أرض مؤتة

ذكر ابن سعد وكتب السيرة أنّ رسول الله ﷺ أمر أسامة أن يسير بالجيش حتى تخوم **البلقاء** — الأرض التي استُشهد فيها أبوه بمؤتة. فتأخّر البعث لمرض رسول الله ﷺ ووفاته، ثم أنفذه أبو بكر رضى الله عنه أوّلَ أمرٍ من خلافته، مع أنّ بعض الصحابة أشاروا بتأخيره.

تفاصيل الوجهة والأحداث **من أخبار كتب السيرة**؛ والصحيح هو تأمير أسامة ودفاع رسول الله ﷺ عنه.

المرجع:

ابن سعد، الطبقات الكبرى؛ ابن كثير، البداية والنهاية.

ويكيبيديا، «أسامة بن زيد». https://en.wikipedia.org/wiki/Usama_ibn_Zayd

والعبرة: تضحية الأب **لا تضيع**. فالراية التي سقطت من يد زيد في مؤتة رفعها ابنه من بعده. وعلّم رسول الله ﷺ الأمّة أن تُكرم أهل الشهداء، وأن تمنح الفرصة لجيلٍ شابٍّ كفء وإن كان صغير السنّ.

مؤتة اليوم

مؤتة اليوم بلدةٌ في **محافظة الكرك بالأردن**، وقد خُلّد اسمها في **جامعة مؤتة**. وبالقرب منها، في المزار، مجمّعٌ من الأضرحة والمساجد يُنسب إلى شهداء مؤتة — ومنهم جعفر بن أبي طالب وزيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة.

من كتب السيرة: الأضرحة في المزار

تذكر المصادر التاريخية أنّ البناء الأوّل للأضرحة أُقيم في القرن الثالث عشر الميلادي بأمر السلطان المملوكي **بيبرس**، ثم أُعيد بناؤه في الثلاثينيّات من القرن العشرين، وبُني المجمّع الحاليّ سنة ١٩٩٧م. وضريح زيد بن حارثة في المجمّع نفسه مع ضريح جعفر، أمّا ضريح عبد الله بن رواحة فقريبٌ منهما.

زيارة القبور سنّةٌ لتذكّر الآخرة والدعاء للميّت. لكنّ العلماء ينبّهون إلى أن تكون الزيارة على الأدب الذي علّمه رسول الله ﷺ — السلام عليهم والدعاء لهم — **من غير سؤال أصحاب القبور شيئًا**.

المرجع:

ويكيبيديا، «Mausoleum of Ja'far ibn Abi Talib».
https://en.wikipedia.org/wiki/Mausoleum_of_Ja%27far_ibn_Abi_Talib

ويكيبيديا، «Mausoleum of Abdullah ibn Rawahah».
https://en.wikipedia.org/wiki/Mausoleum_of_Abdullah_ibn_Rawahah

وقد علّم رسول الله ﷺ نفسه أدب زيارة القبور: «**السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الدِّيَارِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَلَاحِقُونَ، أَسْأَلُ اللَّهَ لَنَا وَلَكُمُ الْعَافِيَةَ**» (صحيح مسلم ٩٧٥).

مصادر قصّة غزوة مؤتة

كما في الحلقات السابقة، بُنيت قصّة مؤتة في هذا الكتاب على **الأحاديث الصحيحة** أوّلًا، ثم أُكملت **بروايات كتب السيرة** مع تمييزها بوضوح.

الحدث	المصدر
تأمير ثلاثة أمراء	صحيح البخاري ٤٢٦١
جراح جعفر في مقدَّمه	صحيح البخاري ٤٢٦٠، ٤٢٦١
لقب «ذي الجناحين»	صحيح البخاري ٤٢٦٤، ٣٧٠٩
أخذ خالد الراية من غير إمرة	صحيح البخاري ١٢٤٦
تسعة أسياف انقطعت	صحيح البخاري ٤٢٦٥، ٤٢٦٦
الإخبار بالخبر قبل وصوله	صحيح البخاري ٤٢٦٢
قصّة المدديّ والسلب	صحيح مسلم ١٧٥٣؛ أبو داود ٢٧١٩
حزن رسول الله ﷺ والنهي عن النياحة	صحيح البخاري ٤٢٦٣، ١٢٩٩
الطعام لآل جعفر	جامع الترمذي ٩٩٨ (حسن)
قتل الرسول، عدد العدوّ، الخطبة في مَعان	كتب السيرة (ابن إسحاق، الواقدي)
شعر ابن رواحة، خطّة خالد، «الكُرّار»	كتب السيرة

هذا الكتاب **لا يتضمّن** الإسرائيليّات ولا الروايات الظاهرة الوضع. وتُعرض روايات كتب السيرة تكملةً للصورة التاريخيّة مع بيان حالها.

سريّة ذات السلاسل: بعد مؤتة

لم تنتهِ غزوة مؤتة برجوع الجيش إلى المدينة. فقبائل العرب في شمال الجزيرة — ولا سيّما قبائل قُضاعة الساكنة على تخوم الشام والمحالفة للروم — صارت تنظر إلى المسلمين نظرةً جديدة. وبلغ أنّ بعضهم يجتمعون لغزو المدينة. فبعد مؤتة بنحو شهر بعث رسول الله ﷺ إليهم سريّةً عُرفت بسريّة ذات السلاسل.

من كتب السيرة: سريّة عمرو بن العاص

ذكر ابن إسحاق وابن سعد والواقدي أنّ هذه السريّة كانت في جمادى الآخرة سنة ٨ للهجرة. فأمّر رسول الله ﷺ عمرو بن العاص — ولم يمضِ على إسلامه إلّا أشهر — على نحو ثلاثمائة رجل. ويُنسب اسم ذات السلاسل إلى ماءٍ يقال له السَّلْسَل بأرض جُذام، وراء وادي القرى.

وتذكر كتب السيرة أنّ عمرًا اختير لأنّ جدّته لأبيه كانت من بَلِيّ، إحدى قبائل قُضاعة — ليتألّفهم بتلك القرابة. فلمّا وجد عمرو العدوّ أكثر استمدّ، فبعث رسول الله ﷺ أبا عبيدة بن الجرّاح في نحو مائتين، فيهم أبو بكر وعمر رضى الله عنهما.

تفاصيل التاريخ والعدد وأسماء الأماكن من أخبار كتب السيرة. والصحيح أنّ عمرو بن العاص كان أمير جيش ذات السلاسل (صحيح البخاري ٤٣٥٨).

المراجع: ابن هشام، السيرة النبوية — غزوة ذات السلاسل؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى؛ ابن حجر، فتح الباري، باب غزوة ذات السلاسل.

مَن يؤمّ مَن؟

فلمّا قدم أبو عبيدة ثار سؤال: من يؤمّ الصلاة ويقود الجيش؟ تذكر كتب السيرة أنّ عمرًا قال: أنا الأمير، وإنّما جئتَ مددًا لي. فقبل أبو عبيدة — وكان معروفًا باللين — وقال: إنّ رسول الله ﷺ أوصانا ألّا نختلف. فكان عمرو يؤمّهم، وخلفه أبو بكر وعمر وأبو عبيدة.

© ٢٠٢٦ م / ١٤٤٨ هـ جميع الحقوق محفوظة — Hj Che Alim Hj Che Haron — مجاني للمسلمين

هذه القصّة من روايات كتب السيرة، لكنّ معناها موافقٌ للأحاديث الصحيحة في طاعة الأمير المعيَّن. وتعلّم أيضًا أنّ الإمارة في أمرٍ ما تُعطى لأصلح الناس لذلك الأمر — وإن قام خلفه من هم أفضل منه منزلةً وأقدم إسلامًا.

«أيُّ الناس أحبُّ إليك؟»

حديث: سؤال عمرو بعد ذات السلاسل

عَنْ أَبِي عُثْمَانَ النَّهْدِيِّ قَالَ: حَدَّثَنِي عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَهُ عَلَى جَيْشِ ذَاتِ السَّلَاسِلِ، قَالَ: فَأَتَيْتُهُ فَقُلْتُ: أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: «عَائِشَةُ»، قُلْتُ: مِنَ الرِّجَالِ؟ قَالَ: «أَبُوهَا»، قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «عُمَرُ»، فَعَدَّ رِجَالًا، فَسَكَتُّ مَخَافَةَ أَنْ يَجْعَلَنِي فِي آخِرِهِمْ.

الدرجة: صحيح — صحيح البخاري ٤٣٥٨، في باب غزوة ذات السلاسل؛ وأيضًا صحيح البخاري ٣٦٦٢.

كان عمرو قد أُمِّر لتوّه، وتحت إمرته أبو بكر وعمر. فلعلّه خطر في قلبه أنّ له منزلةً خاصّة. فوضع جواب رسول الله ﷺ كلّ شيءٍ في موضعه: إمارة سريّةٍ واحدة ليست كالمنزلة في قلب رسول الله ﷺ وعند الله. وصدقُ عمرو في رواية القصّة بنفسه — بما فيها حياؤه — يدلّ على إخلاص الصحابة في تبليغ الحديث.

التيمّم في ليلةٍ شديدة البرد

حديث: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾

عَنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضى الله عنه قَالَ: احْتَلَمْتُ فِي لَيْلَةٍ بَارِدَةٍ فِي غَزْوَةِ ذَاتِ السُّلَاسِلِ، فَأَشْفَقْتُ إِنِ اغْتَسَلْتُ أَنْ أَهْلِكَ، فَتَيَمَّمْتُ ثُمَّ صَلَّيْتُ بِأَصْحَابِي الصُّبْحَ، فَذَكَرُوا ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «يَا عَمْرُو، صَلَّيْتَ بِأَصْحَابِكَ وَأَنْتَ جُنُبٌ؟» فَأَخْبَرْتُهُ بِالَّذِي مَنَعَنِي مِنَ الِاغْتِسَالِ وَقُلْتُ: إِنِّي سَمِعْتُ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ (النساء ٤: ٢٩)، فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَلَمْ يَقُلْ شَيْئًا.

الدرجة: صحيح عند الألبانيّ — سنن أبي داود ٣٣٤، في كتاب الطهارة.

عدّ العلماء ضحك رسول الله ﷺ وسكوته إقرارًا – أي تصويبًا لاجتهاد عمرو. والحديث دليلٌ على أنّ من خاف ضررًا ظاهرًا من استعمال الماء الشديد البرد، ولم يجد ما يسخّنه به، جاز له التيمّم. ويدلّ أيضًا على أنّ صحابيًّا حديث الإسلام كان قد فقه القرآن واستعمله في الاجتهاد.

من كتب السيرة: النهي عن إيقاد النار

تذكر كتب السيرة أنّ عمرًا نهى الجيش عن إيقاد النار ليلًا، ولمّا ظفر لم يأذن لهم في اتّباع العدوّ. فلمّا سأله رسول الله ﷺ بيّن أنّه خشي أن يرى العدوّ قلّتهم، وخشي أن يكون للعدوّ كمينٌ يستدرجهم. فحمد رسول الله ﷺ تدبيره.

هذه القصّة مرويّةٌ في كتب السيرة وبعض كتب الحديث بإسنادٍ فيه كلام. وتُعرض صورةً لحكمة عمرو العسكريّة، لا حديثًا صحيحًا.

العبرة

بعد مؤتة لم يترك رسول الله ﷺ الحدود الشماليّة مكشوفة. فبعث سريّةً بقيادة أصلح الناس لها، وأمدّها حين استمدّت، وعلّم أنّ الإمارة ليست ميزان الفضل. ولا يكلّف الإسلام الناس فوق طاقتهم: ففي حال الخطر على النفس جعل الله رخصة.

جيش الخَبَط والحوت العظيم على الساحل

ومن السرايا التي يذكرها بعض أهل السيرة في هذه المدّة سريّة سِيف البحر (ساحل البحر)، المعروفة بجيش الخَبَط. وقد روى قصّتها بإسنادٍ صحيح جابر بن عبد الله رضى الله عنهما، وكان ممّن شهدها.

حديث: الجيش الذي أكل الورق

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضى الله عنهما قَالَ: بَعَثَنَا النَّبِيُّ ﷺ ثَلَاثَمِائَةٍ رَاكِبٍ، أَمِيرُنَا أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ، نَرْصُدُ عِيرَ قُرَيْشٍ، فَأَقَمْنَا بِالسَّاحِلِ نِصْفَ شَهْرٍ، فَأَصَابَنَا جُوعٌ شَدِيدٌ حَتَّى أَكَلْنَا الْخَبَطَ، فَسُمِّيَ ذَلِكَ الْجَيْشُ جَيْشَ الْخَبَطِ، فَأَلْقَى لَنَا الْبَحْرُ دَابَّةً يُقَالُ لَهَا الْعَنْبَرُ، فَأَكَلْنَا مِنْهُ نِصْفَ شَهْرٍ، وَادَّهَنَّا مِنْ وَدَكِهِ حَتَّى ثَابَتْ إِلَيْنَا أَجْسَامُنَا.

الدرجة: صحيح – أخرجه البخاري في صحيحه، أصحّ الكتب بعد القرآن الكريم بإجماع أهل الحديث.

حديث: «كُلُوا رِزْقًا أَخْرَجَهُ اللَّهُ»

وفي روايةٍ أخرى عن جابر أنّ أبا عبيدة أخذ ضلعًا من أضلاعه فنصبه، فمرّ الراكب تحته. فلمّا قدموا المدينة ذكروا ذلك للنبيّ ﷺ فقال: «كُلُوا رِزْقًا أَخْرَجَهُ اللَّهُ، أَطْعِمُونَا إِنْ كَانَ مَعَكُمْ». فأتاه بعضهم بشيءٍ منه فأكله.

الدرجة: صحيح – أخرجه البخاري في صحيحه، أصحّ الكتب بعد القرآن الكريم بإجماع أهل الحديث.

من كتب السيرة: متى كانت هذه الحادثة؟

جعل ابن سعد وبعض أهل السيرة هذه السريّة في رجب سنة ٨ للهجرة، أي بعد مؤتة وذات السلاسل. لكنّ ابن حجر في فتح الباري بيّن أنّ غرضها – رصد عير قريش – يدلّ على أنّها كانت قبل صلح الحديبية، لأنّ عير قريش بعد الصلح كانت آمنةً لا يُتعرّض لها.

يذكرها هذا الكتاب هنا لأنّ بعض كتب السيرة جعلتها بعد مؤتة، ولأنّ عبرتها وثيقة الصلة بالسرايا المبعوثة في هذه المدّة. وتاريخها الحقيقيّ مختلفٌ فيه.

أبو عبيدة: أميرٌ يجوع مع جنده

تُظهر هذه القصّة أبا عبيدة أميرًا يشارك جنده الشدّة. ففي روايات أخرى عن جابر أنّ أزواد الجيش جُمعت وقُسمت قليلًا قليلًا حتى صار نصيب الرجل تمرةً واحدة في اليوم. فلم يأكل الأمير أكثر ممّا يأكل جنده. ولذلك لقّبه رسول الله ﷺ «أمين هذه الأمّة».

رزقٌ من البحر

قال الله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ﴾ (المائدة ٥: ٩٦). وقال رسول الله ﷺ في البحر: «هُوَ الطَّهُورُ مَاؤُهُ، الْحِلُّ مَيْتَتُهُ» (سنن أبي داود ٨٣، وصحّحه الألبانيّ؛ وجامع الترمذي ٦٩).

تردّد الصحابة أوّل الأمر لأنّ الدابّة وُجدت ميتة. فقال أبو عبيدة أوّلًا: «ميتة»، ثم اجتهد بأنّهم رسل رسول الله ﷺ وفي حال اضطرار. فلمّا رجعوا لم يكتفِ رسول الله ﷺ بإباحتها، بل أكل منها بنفسه – دلالةً على أنّها حلالٌ مطلقًا لا لأجل الضرورة فحسب. وجمهور العلماء على أنّ ميتة البحر حلال؛ وللحنفيّة تفصيلٌ في السمك الطافي.

العبرة

لم يزعزع الجوعُ حتى أكل الورق طاعةَ هذا الجيش. ثم أنزل الله الرزق من حيث لا يحتسبون. والأمير الأمين يشارك في الشدّة، والرزق الذي يعطيه الله يُقتسم — حتى بلغ صحفة رسول الله ﷺ في المدينة.

أعلام غزوة مؤتة

فصّلت الفصول السابقة قصّة الأمراء الثلاثة وخالد بن الوليد. ويجمع الجدول أدناه سائر الأعلام المذكورين في قصّة مؤتة وما حولها، مع قبائلهم ومصادر أخبارهم. ويُميَّز من ذُكر في الأحاديث الصحيحة عمّن ذُكر في كتب السيرة فقط.

العَلَم	القبيلة	الدور	المصدر
زيد بن حارثة	كلب (قضاعة)؛ مولى رسول الله ﷺ	الأمير الأوّل؛ استُشهد	صحيح البخاري ٤٢٦١
جعفر بن أبي طالب	قريش، بنو هاشم؛ ابن عمّ رسول الله ﷺ	الأمير الثاني؛ «ذو الجناحين»	صحيح البخاري ٤٢٦١، ٤٢٦٤
عبد الله بن رواحة	الخزرج (الأنصار)	الأمير الثالث؛ شاعر	صحيح البخاري ٤٢٦١
خالد بن الوليد	قريش، بنو مخزوم	أخذ الراية من غير إمرة؛ «سيف الله»	صحيح البخاري ٤٢٦٢، ٤٢٦٥
ثابت بن أقرم	بَلِيّ (قُضاعة)؛ حليف بني العجلان من الأنصار	حمل الراية قليلًا ودعا إلى اختيار أمير	كتب السيرة (ابن إسحاق)
عبد الله بن عمر	قريش، بنو عديّ	شهد الغزوة؛ عدّ جراح جعفر	صحيح البخاري ٤٢٦٠، ٤٢٦١
عوف بن مالك الأشجعي	أشجع (غطفان)	شهد قصّة المددي والسلب	صحيح مسلم ١٧٥٣؛ أبو داود ٢٧١٩
الرجل المددي	حِمْيَر (اليمن)	قتل الفارس الروميّ وطالب بالسلب	صحيح مسلم ١٧٥٣

العَلَم	القبيلة	الدور	المصدر
أسماء بنت عُمَيس	خَثْعَم	زوجة جعفر؛ تلقّت نبأ استشهاده	كتب التراجم؛ أبو داود ٤١٩٢
عبد الله بن جعفر	قريش، بنو هاشم	ابن جعفر؛ راوي قصّة التعزية	جامع الترمذي ٩٩٨؛ أبو داود ٤١٩٢
أسامة بن زيد	كلب (قضاعة)	ابن زيد؛ أُمّر بعدُ إلى أرض الشام	صحيح البخاري ٣٧٣٠، ٤٤٦٩
الحارث بن عمير الأزدي	الأزد	رسول رسول الله ﷺ الذي قُتل	كتب السيرة (ابن سعد، الواقدي)
شرحبيل بن عمرو الغسّاني	غسّان	عاملٌ عربيٌّ للروم قتل الرسول	كتب السيرة
قُطبة بن قتادة العُذري	عُذرة (قُضاعة)	قاد الميمنة؛ قتل مالك بن زافلة، قائد العرب المتنصّرة حلفاء الروم	كتب السيرة (ابن إسحاق)
عمرو بن العاص	قريش، بنو سهم	أمير سريّة ذات السلاسل بعد مؤتة بشهر	صحيح البخاري ٤٣٥٨
أبو عبيدة بن الجرّاح	قريش، بنو الحارث بن فهر	قاد المدد إلى ذات السلاسل؛ أمير جيش الخَبَط	صحيح البخاري ٤٣٦١؛ كتب السيرة

صلات قرابةٍ لافتة

بين هؤلاء الأعلام صلات قرابةٍ جديرة بالتأمّل. فجعفر أخو عليّ بن أبي طالب، وكلاهما ابن عمّ رسول الله ﷺ، لأنّ أباهما أبا طالب عمُّه. وكان زيد بن حارثة متبنّى رسول الله ﷺ قبل نسخ التبنّي، وأسامة

ابنه. وأمّ خالد بن الوليد، لُبابة الصغرى بنت الحارث، أختُ ميمونة بنت الحارث — فميمونة زوج رسول الله ﷺ التي تزوّجها في عمرة القضاء خالةُ خالد.

وأسماء بنت عميس أختُ ميمونة لأمّها. وبعد استشهاد جعفر تزوّجت أبا بكر الصدّيق رضى الله عنه، ثم بعد وفاته عليَّ بن أبي طالب رضى الله عنه — كما في كتب التراجم كالإصابة لابن حجر.

من كتب السيرة: شهداء مؤتة

تذكر كتب السيرة أنّ عدد شهداء المسلمين في مؤتة بين ثمانيةٍ واثني عشر — أربعةٌ من المهاجرين والباقون من الأنصار. وسرد ابن هشام أسماءهم، ومنهم زيد بن حارثة، وجعفر بن أبي طالب، وعبد الله بن رواحة، ومسعود بن الأسود، ووهب بن سعد بن أبي سرح. وتختلف القائمة الكاملة من مصدرٍ إلى آخر.

وقلّة عدد الشهداء، مقارنةً بحجم جيش العدوّ، من حجج المؤرّخين على أنّ خالدًا نجح في إنقاذ الجيش.

المراجع: ابن هشام، السيرة النبوية — باب شهداء مؤتة؛ ويكيبيديا، «غزوة مؤتة».

العبرة

وقف في مؤتة جنبًا إلى جنب مولًى من كلب، وسيّدٌ من بني هاشم، وشاعرٌ من الأنصار، وقائدٌ مخزوميٌّ حديث الإسلام، ومدديٌّ من اليمن لا يحمل إلّا سيفًا. جمعهم الإسلام تحت رايةٍ واحدة. فلم يكن شرفهم في القبيلة، بل في الإيمان والتضحية.

© ٢٠٢٦ م / ١٤٤٨ هـ جميع الحقوق محفوظة — Hj Che Alim Hj Che Haron — مجاني للمسلمين

أحكامٌ من مؤتة والسرايا بعدها

خلّفت غزوة مؤتة والسرايا المبعوثة بعدها أحكامًا فقهيّةً كثيرة بحثها العلماء في كتب الحديث والفقه. ويلخّص الجدول أدناه أهمّها، مع الدليل والفصل الذي نوقشت فيه في هذا الكتاب.

الحكم	الدليل	الفصل
يجوز للإمام تعليق الإمارة بشرط	صحيح البخاري ٤٢٦١	2
إذا لم يوجد أميرٌ معيَّن جاز للجماعة اختيار أميرٍ للمصلحة	صحيح البخاري ١٢٤٦	12
الانحياز تدبيرًا حربيًّا ليس فرارًا من الزحف	الأنفال ٨: ١٥–١٦	20, 27
السَّلَب للقاتل، ويجب احترام الأمير	صحيح مسلم ١٧٥٣	15
الإخبار بالموت (النَّعي) المعتاد جائز؛ والنياحة محرّمة	صحيح البخاري ١٢٤٦، ٤٢٦٣	14, 16
يُستحبّ صنع الطعام لأهل الميّت	جامع الترمذي ٩٩٨؛ أبو داود ٣١٣٢	17
الإحداد على غير الزوج لا يزيد على ثلاثة أيّام	سنن أبي داود ٤١٩٢؛ صحيح البخاري ١٢٨٠	17
التيمّم لبردٍ شديدٍ يُخاف منه الهلاك	سنن أبي داود ٣٣٤؛ النساء ٤: ٢٩	24
ميتة البحر حلال	المائدة ٥: ٩٦؛ صحيح البخاري ٤٣٦٢؛ أبو داود ٨٣	25
الأمير يواسي جنده في الزاد عند الشدّة	صحيح البخاري ٤٣٦١ ورواياته	25

انحيازٌ أم فرار؟

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ ۝ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ (الأنفال ٨: ١٥-١٦).

وبيّن ابن كثير في تفسيره أنّ الاستثناء في الآية يشمل من انحاز ليعيد ترتيب الصفوف أو لينضمّ إلى فئةٍ أخرى من المسلمين. وهذا ما فعله خالد في مؤتة: لم يفرّ، بل أنقذ الجيش ورجع به إلى المدينة — مركز فئة المسلمين. وقول رسول الله ﷺ «حتّى فتح الله عليهم» (صحيح البخاري ٤٢٦٢) يقطع كلّ اتّهامٍ لهم بالفرار.

النَّعي الجائز والنَّعي المنهيّ عنه

نعى رسول الله ﷺ نفسه زيدًا وجعفرًا وابن رواحة إلى الناس على المنبر. ووضع الإمام البخاري هذا الحديث في كتاب الجنائز تحت باب الرجل ينعى إلى أهل الميّت بنفسه (رقم ١٢٤٦). وبيّن العلماء أنّ الإخبار بالموت لأجل الصلاة والتعزية والدعاء جائز. والمنهيّ عنه نعيُ الجاهليّة — إعلان الموت بالصياح والنياحة والتفاخر بالميّت.

الجدول أعلاه خلاصةٌ عامّة. ويُرجع في تفاصيل كلّ حكمٍ وخلاف المذاهب إلى شروح الحديث كفتح الباري لابن حجر وشرح صحيح مسلم للنووي.

العبرة

السيرة ليست قصصًا تُروى فحسب، بل مصدرٌ لأحكامٍ يُعمل بها. فغزوةٌ وقعت بعيدًا في أرض الشام أثمرت هدايةً في القيادة والحرب والتعزية والطهارة والطعام — ما زلنا نعمل بها إلى اليوم.

الخطّ الزمني: من مؤتة إلى فتح مكّة

يرتّب الجدول أدناه الأحداث المحيطة بغزوة مؤتة بحسب تسلسلها الزمني. وأكثر هذه التواريخ من كتب السيرة وهي تقريبيّة؛ وبعضها مختلفٌ فيه.

التاريخ (تقريبًا)	الحدث	المصدر
أوائل سنة ٨ هـ	إسلام خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعثمان بن طلحة	كتب السيرة؛ صحيح مسلم ١٢١ (إسلام عمرو)
قبل جمادى الأولى ٨ هـ	قَتْلُ شرحبيل الغسّاني الحارثَ بن عمير الأزدي	كتب السيرة (ابن سعد)
جمادى الأولى ٨ هـ	خروج جيش الثلاثة آلاف من المدينة وتأمير الأمراء الثلاثة	صحيح البخاري ٤٢٦١؛ كتب السيرة
جمادى الأولى ٨ هـ	شورى ليلتين في مَعان	كتب السيرة (ابن إسحاق)
جمادى الأولى ٨ هـ (نحو سبتمبر ٦٢٩م)	المعركة في مؤتة؛ استشهاد الأمراء الثلاثة؛ أخذ خالد الراية	صحيح البخاري ١٢٤٦، ٤٢٦٢
اليوم نفسه	إخبار رسول الله ﷺ بالحدث في المدينة قبل وصول الخبر	صحيح البخاري ٤٢٦٢
بعد وصول الخبر	الطعام لآل جعفر؛ النهي عن النياحة	جامع الترمذي ٩٩٨؛ صحيح البخاري ٤٢٦٣
بعد ثلاثة أيّام	زيارة رسول الله ﷺ لأبناء جعفر وحلق رؤوسهم	سنن أبي داود ٤١٩٢
العودة إلى المدينة	تسمية بعض الناس الجيش «فُرّارًا»؛ وقول رسول الله ﷺ إنّهم «الكُرّار»	كتب السيرة (في الإسناد مقال)

التاريخ (تقريبًا)	الحدث	المصدر
جمادى الآخرة ٨ هـ	سريّة ذات السلاسل بإمرة عمرو بن العاص	صحيح البخاري ٤٣٥٨؛ كتب السيرة
رجب ٨ هـ (مختلفٌ فيه)	جيش الخَبَط بإمرة أبي عبيدة، عند ابن سعد	صحيح البخاري ٤٣٦١؛ فتح الباري
شعبان ٨ هـ	بنو بكر، حلفاء قريش، يعتدون على خزاعة — نقضُ صلح الحديبية	كتب السيرة (الحلقة ٢٠)
رمضان ٨ هـ	فتح مكّة	الحلقتان ٢٠ و٢١
صفر ١١ هـ	تأمير أسامة بن زيد على جيشٍ إلى البلقاء	صحيح البخاري ٤٤٦٩؛ كتب السيرة
١٥ هـ (٦٣٦م)	معركة اليرموك؛ فتح الشام — وخالد من أبرز قادتها	التاريخ العامّ

العبرة

يبيّن هذا الخطّ الزمني كثافة السنة الثامنة للهجرة. ففي أقلّ من عام واجه المسلمون الروم، وبعثوا سرايا إلى الشمال، ثم فتحوا مكّة. فلم تكن مؤتة نهاية، بل بدايةً لتحوّلٍ عظيم في جزيرة العرب وأرض الشام.

© ٢٠٢٦ م / ١٤٤٨ هـ جميع الحقوق محفوظة — Hj Che Alim Hj Che Haron — مجاني للمسلمين

أسئلة شائعة عن غزوة مؤتة

١. أين تقع مؤتة؟

مؤتة بلدةٌ على هضبةٍ شرقيَّ البحر الميّت، في محافظة الكرك بالأردن اليوم. وتبعد عن المدينة نحو ألف كيلومتر على طريق القوافل (الفصلان ٦ و٢٢؛ ويكيبيديا، «مؤتة»).

٢. لماذا سُمّيت «غزوة» ورسول الله ﷺ لم يشهدها؟

المعتاد أن تُسمّى الحرب التي شهدها رسول الله ﷺ بنفسه غزوة، وما لم يشهده سريّةً أو بعثًا. لكنّ الإمام البخاري سمّى بابه «غزوة مؤتة» لعِظَم الجيش وأهمّية الحدث. ويستعمل علماء السيرة الاصطلاحين كليهما.

٣. كم كان عدد الجيشين؟

كان جيش المسلمين نحو ثلاثة آلاف بحسب كتب السيرة. وذكر الواقدي عدد العدوّ مائة ألف، وابن إسحاق مائتي ألف. وهذه الأعداد من روايات كتب السيرة بغير إسنادٍ متّصل، ويراها كثيرٌ من المؤرّخين المعاصرين مبالغًا فيها. والمؤكّد أنّ جيش المسلمين كان أصغر بكثير (الفصل ٧).

٤. كم استُشهد من المسلمين؟

تذكر كتب السيرة نحو ثمانيةٍ إلى اثني عشر، منهم الأمراء الثلاثة. وقلّة هذا العدد تدلّ على نجاح خالد في إنقاذ الجيش (الفصل ٢٦).

٥. لماذا أمّر رسول الله ﷺ ثلاثة أمراء دفعةً واحدة؟

حتى لا يضطرب الجيش إذا قُتل أميره. والحديث أيضًا دليلٌ على جواز تعليق الإمارة (صحيح البخاري ٤٢٦١؛ الفصل ٢).

٦. لماذا لم يؤمّر رسول الله ﷺ خالدًا؟

كان خالد حديث الإسلام بأشهر. واختاره الجيش في الميدان بعد استشهاد الأمراء الثلاثة، فأقرّ رسول الله ﷺ اختيارهم وسمّاه «سيفًا من سيوف الله» (صحيح البخاري ٤٢٦٢؛ الفصلان ١٢ و١٤).

٧. هل قصّة قطع يدي جعفر صحيحة؟

تفصيل حمل جعفر الراية بيمينه حتى قُطعت ثم بشماله من روايات كتب السيرة. والصحيح أنّ جراحه كلّها كانت في مقدَّمه (صحيح البخاري ٤٢٦٠)، ولقب «ذي الجناحين» الذي استعمله ابن عمر (صحيح البخاري ٤٢٦٤؛ الفصلان ٩ و١٠).

٨. هل كانت مؤتة هزيمة؟

قال رسول الله ﷺ: «حتّى فتح الله عليهم» (صحيح البخاري ٤٢٦٢). واختلف المؤرّخون: أكانت نصرًا، أم انسحابًا ناجحًا، أم تعادلًا. وعدّتها بعض المصادر البيزنطيّة نصرًا للروم، وذكرت أنّ قائدهم يُدعى ثيودور (الفصل ٢٠؛ ويكيبيديا، «غزوة مؤتة»).

٩. هل الانسحاب من ساحة القتال كبيرة؟

الفرار من الزحف من الكبائر، لكنّ الله استثنى المتحرّف لقتال والمتحيّز إلى فئة (الأنفال ٨: ١٥–١٦؛ الفصل ٢٧).

١٠. هل يجوز إعلان وفاة أحد؟

نعم، لأجل الصلاة على الجنازة والتعزية والدعاء، كما نعى رسول الله ﷺ شهداء مؤتة. والمنهيّ عنه النياحة وطريقة الجاهليّة (صحيح البخاري ١٢٤٦، ٤٢٦٣؛ الفصل ٢٧).

© ٢٠٢٦ م / ١٤٤٨ هـ جميع الحقوق محفوظة — Hj Che Alim Hj Che Haron — مجاني للمسلمين

١١. هل يجوز التيمّم لشدّة برد الماء؟

حديث عمرو بن العاص دليلٌ على أنّ من خاف حقًّا الضرر من استعمال الماء البارد، ولم يجد ما يسخّنه، جاز له التيمّم (سنن أبي داود ٣٣٤؛ الفصل ٢٤). وتفصيل شروطه في كتب الفقه، ولا يشمل مجرّد الكسل أو عدم الارتياح.

١٢. ما صلة مؤتة بفتح الشام؟

مؤتة أوّل صدامٍ بين جيش المسلمين والروم. وبعد نحو ثلاث سنين أمّر رسول الله ﷺ أسامة إلى البلقاء (الفصل ٢١)، وبعد سنواتٍ كان خالدٌ نفسه من أبرز قادة معركة اليرموك التي فُتحت بها أرض الشام.

العبرة

تذكّرنا هذه الأسئلة بالتمييز بين القرآن الكريم، والحديث الصحيح، وروايات كتب السيرة، وآراء المؤرّخين. وبذلك نأخذ العبرة اليقينيّة من مؤتة، ونتّسع صدرًا لما اختُلف فيه.

الدروس والخاتمة

غزوة مؤتة قصّة **الوفاء حتى آخر قطرة دم.** سقط ثلاثة أمراء واحدًا بعد واحد دون أن يولّوا الأدبار، وصار مسلمٌ حديث الإسلام «سيف الله» الذي أنقذ الجيش.

العبرة	من غزوة مؤتة
التخطيط الدقيق	ثلاثة أمراء على التعاقب
المساواة في الإسلام	مولًى يقود السادة
الشجاعة والثبات	جراح جعفر كلّها في مقدَّمه
جهاد النفس	ابن رواحة يحمل نفسه على الإقدام
موهبةٌ وُجّهت إلى الخير	خالد: من أحد إلى مؤتة
احترام الأمراء	«هل أنتم تاركون لي أمرائي؟»
حزنٌ بلا نياحة	دموع رسول الله ﷺ، والنهي عن النياحة
رعاية أهل المصاب	الطعام لآل جعفر، والأيتام

مؤتة في حياتنا

قد لا نحمل رايةً في ساحة قتال، لكنّ كلًّا منّا يحمل **أمانة** — في الأسرة والعمل والمجتمع. وتعلّمنا مؤتة أن نحملها بثبات، وأن نسلّمها لمن هو أهلٌ لها إذا حان الوقت، و**ألّا نولّي الأدبار** إذا جاء الابتلاء.

وإن شاء الله تستمرّ سلسلة **السيرة النبوية** بـ**الحلقة ٢٠** — بداية **فتح مكّة**: كيف نقضت قريش صلح الحديبية، وكيف جهّز رسول الله ﷺ أعظم جيشٍ رأته جزيرة العرب. والله أعلم.

المراجع

القرآن الكريم والتفسير

القرآن الكريم، بالرسم العثماني. https://quran.com/ms

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (البقرة ٢: ١٥٤–١٥٧، ٢: ٢٤٩؛ آل عمران ٣: ١٦٩–١٧١؛ الأنفال ٨: ٤٥–٤٦؛ مريم ١٩: ٧١؛ الأحزاب ٣٣: ٢٣، ٣٣: ٣٧). https://tafsir.app/ibn-katheer/3/169

الحديث الشريف

صحيح البخاري ١٢٤٦، ١٢٩٩، ٢٦٩٩، ٢٨١٧، ٣٠١٥، ٣٤٩٣، ٣٧٠٨، ٣٧٠٩، ٣٧٣٠، ٤٢٦٠، ٤٢٦١، ٤٢٦٢، ٤٢٦٣، ٤٢٦٤، ٤٢٦٥، ٤٢٦٦، ٦١١٤. https://sunnah.com/bukhari

صحيح مسلم ٩٧٥، ١٧٣١، ١٧٥٣، ١٨٨٧. https://sunnah.com/muslim

جامع الترمذي ٩٩٨، ٣٧٦٣؛ سنن أبي داود ٢٥٧٣، ٢٧١٩، ٣١٣٢، ٤١٩٢. https://sunnah.com

كتب السيرة والشروح

ابن هشام، السيرة النبوية (رواية ابن إسحاق) — باب غزوة مؤتة.

الواقدي، المغازي؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى.

ابن كثير، البداية والنهاية — غزوة مؤتة؛ ابن القيّم، زاد المعاد.

ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري — كتاب المغازي، باب غزوة مؤتة؛ الإصابة في تمييز الصحابة.

صفيّ الرحمن المباركفوري، الرحيق المختوم — باب غزوة مؤتة.

التاريخ العامّ

ويكيبيديا، «غزوة مؤتة». https://en.wikipedia.org/wiki/Battle_of_Mu%27tah

ويكيبيديا، «زيد بن حارثة». https://en.wikipedia.org/wiki/Zayd_ibn_Haritha

ويكيبيديا، «Ja’far ibn Abi Talib». https://en.wikipedia.org/wiki/Ja%27far_ibn_Abi_Talib

ويكيبيديا، «عبد الله بن رواحة». https://en.wikipedia.org/wiki/Abd_Allah_ibn_Rawaha

ويكيبيديا، «خالد بن الوليد». https://en.wikipedia.org/wiki/Khalid_ibn_al-Walid

ويكيبيديا، «Mausoleum of Ja’far ibn Abi Talib».
https://en.wikipedia.org/wiki/Mausoleum_of_Ja%27far_ibn_Abi_Talib

أحاديث ومصادر إضافية

صحيح البخاري ٤٣٥٨ (عمرو بن العاص أمير ذات السلاسل). https://sunnah.com/bukhari:4358

صحيح البخاري ٣٦٦٢ (أحبّ الناس إلى رسول الله ﷺ). https://sunnah.com/bukhari:3662

سنن أبي داود ٣٣٤ (تيمّم عمرو في الليلة الباردة). https://hadithunlocked.com/abudawud:334

صحيح البخاري ٤٣٦١ (جيش الخَبَط). https://sunnah.com/bukhari:4361

صحيح البخاري ٤٣٦٢ («كلوا رزقًا أخرجه الله»). https://sunnah.com/bukhari:4362

سنن أبي داود ٨٣ («هو الطهور ماؤه، الحلّ ميتته»). https://sunnah.com/abudawud:83

جامع الترمذي ٦٩ (البحر: الطهور ماؤه). https://sunnah.com/tirmidhi:69

صحيح البخاري ١٢٨٠ (مدّة الإحداد). https://sunnah.com/bukhari:1280

ويكيبيديا، «Raid of Dhat al-Salasil». https://en.wikipedia.org/wiki/Raid_of_Dhat_al-Salasil

ويكيبيديا، «مؤتة». https://en.wikipedia.org/wiki/Mu%27tah

الدعم والتبرّع

يُنشر هذا الكتاب **مجّانًا بالكامل** للأمّة الإسلامية، **ولا يجوز بيعه أبدًا.** والتبرّعات مرحّبٌ بها للمساعدة في تكاليف البحث، واستضافة الموقع quranscience.my، ونشر مزيدٍ من الكتب — لكنّها **ليست واجبة.** نسأل الله أن يتقبّل كلّ تبرّعٍ صدقةً جارية.

سورة البقرة (٢): ٢٦١

مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٢٦١

المصدر: quran.com/2:261

سورة سبأ (٣٤): ٣٩

قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ لَهُۥۚ وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ٣٩

المصدر: quran.com/34:39

حديث — صحيح مسلم، رقم ٢٥٨٨

حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ، وَقُتَيْبَةُ، وَابْنُ، حُجْرٍ قَالُوا حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، - وَهُوَ ابْنُ جَعْفَرٍ - عَنِ الْعَلاَءِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ « مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلاَّ عِزًّا وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلاَّ رَفَعَهُ اللَّهُ ».

السند: رواه الإمام مسلم: عن يحيى بن أيّوب، وقتيبة بن سعيد وعلي بن حُجر، عن إسماعيل بن جعفر، عن العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه عبد الرحمن بن يعقوب، عن أبي هريرة رضى الله عنه .

التخريج: رواه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب البرّ والصلة والآداب، باب استحباب العفو والتواضع، حديث رقم ٢٥٨٨.

الدرجة: صحيح – أخرجه مسلم في صحيحه.

المصدر: https://sunnah.com/muslim:2588

حديث – صحيح مسلم، رقم ١٦٣١

حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ، وَقُتَيْبَةُ، - يَعْنِي ابْنَ سَعِيدٍ - وَابْنُ حُجْرٍ قَالُوا حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، - هُوَ ابْنُ جَعْفَرٍ - عَنِ الْعَلاَءِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ « إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاَثَةٍ إِلاَّ مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ ».

السند: رواه الإمام مسلم: عن يحيى بن أيّوب، وقتيبة بن سعيد وعلي بن حُجر، عن إسماعيل بن جعفر، عن العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه عبد الرحمن بن يعقوب، عن أبي هريرة رضى الله عنه .

التخريج: رواه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الوصيّة، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، حديث رقم ١٦٣١.

الدرجة: صحيح – أخرجه مسلم في صحيحه.

المصدر: https://sunnah.com/muslim:1631

جزاكم الله خيرًا كثيرًا



امسح رمز QR أعلاه (DuitNow، ماليزيا) للتبرّع.

تبرع

للمتبرّعين من خارج ماليزيا: انقر زرّ «تبرّع» أو زُر paypal.me/quranscience